

(تذكر أن) فى دروس أصول الإيمان (٢)

الدرس الأول

الحمد لله رب العالمين، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ، على عبدك ورسولك محمدٍ، وعلى آله وصحابه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

◆ الإيمان بالرُّسل أصلٌ من أصول الإيمان، وهذا الأصل لابدَّ فيه من الاعتقاد الجازم بأنَّ الله رُسلاً أرسلهم، نُؤمن برسالتهم، ونؤمن بأنَّ الله- عَزَّ وَجَلَّ- أرسلهم وأنزل عليهم الكتب، مُبشرين ومُنذرين، وداعين إلى توحيد الله- عَزَّ وَجَلَّ، ونؤمن بأنَّ الله تعالى خَتَمَ الرِّسالة بنوَّة محمد- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو آخر الرسل، وخاتم النبيين- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

◆ الإيمان بنبوَّة محمد- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تشمل الإيمان بأنَّ الله أرسله للناس جميعاً، للثقلين الإنس والجن، وهذا اعتقاد لازم في الإيمان.

◆ قال الله تعالى في بيان عُموم نبوة النَّبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧؛ إذن "العالمين" يشمل كل العوالم، ومنه الإنس والجن.

◆ من الإيمان بعموم رسالة النَّبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الإيمان بأنَّه النَّبي الخاتم فقد ختمت النبوة به- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما أنَّ الكتاب الذي أنزله الله على رسوله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو القرآن العظيم الذي سَمَّاه الله تعالى بالفرقان نُسخَتْ به الكتب السابقة.

◆ الكتب السابقة لم تَسَلَمْ مِنَ التَّحْرِيفِ والتَّغْيِيرِ والتَّبْدِيلِ، كما عند اليهود بما يُسمى "التَّوراة" أو بما يُسمى بـ"العهد القديم"، وعند النَّصارى بما يسمى بـ"الإنجيل" أو ما يسمى بـ"العهد الجديد"؛ فهذه كلها دَخَلَهَا التَّحْرِيفُ والتَّغْيِيرُ والتَّبْدِيلُ في لفظها وفي معناها.

◆ الكتاب الذي أنزل الله- عَزَّ وَجَلَّ- على محمدٍ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبلَّغه الأمين جبريل- عليه الصَّلَاة والسَّلَام- للنبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ومن ثَمَّ بلَّغه النَّبيُّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأُمَّته فهو محفوظ من التَّغْيِيرِ والتَّبْدِيلِ، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]، ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]؛ فحفظه الله- عَزَّ وَجَلَّ- وجعله ناسخاً ومهيماً بقوله- عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا يَبَيِّنُ يَدِيهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهِمِّمًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨]، أي:

مهيمنًا على الكتب السابقة وناسخًا لها، وهذا لا بدَّ فيه من الإيمان، ومن اعتقد خلاف ذلك فقد خرج من دين الإسلام بإجماع أهل العلم قاطبة.

◆ الصَّحابة- رضوان الله عليهم -لا يُتَأَمَّى إلا بما هو مشروع مما يفعلونه؛ لأنَّ الحجَّة والأسوة في النَّبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -ولهذا فإنَّ أسوة النَّبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -جاءت بالدليل.

◆ معنى أنَّ الإنسان يشهد أنَّ لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا رسول الله، أن يوافق قوله بلسانه شيئًا من الاعتقاد، فلا يقول ألفاظًا مجردة لا معنى لها، قال أهل العلم: معنى الإقرار بالشهادة: "طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يُعبد الله- عزَّ وجلَّ -إلا بما شرع النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -".

◆ الدين ليس ألفاظًا مجردة، بل ألفاظ يتبعها معنى واعتقاد وعمل، فإذا أقررت بشهاد النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فيلزم من هذا الإقرار أن يُطاع فلا يُعصى، وأن يُصدَّق فيما أخبر به النَّبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

◆ النَّبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -جاء بشريعة تنظِّم العلاقات بين النَّاس، ويُتَحاكم النَّاس إليها في كلِّ شيء، في الجنايات، في الدِّيَّات، في الأحوال الشخصية كلها، فهذه شريعة النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -موجودة في القرآن، وفي سنة النَّبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

◆ لما أنزل الله الشريعة بيَّن أنه لا يتم الإيمان إلا بالتَّحاكم إلى هذه الشريعة، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]؛

◆ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وطاعة النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -استقلالًا، وأولي الأمر يُطاعون في المعروف، وفيما لا نصَّ فيه، كتنظيم أحوال النَّاس وترتيبها، والأمر بهذا والمنع من هذا؛ فهذا لا يخالف الشريعة؛ فتجب الطَّاعة لهم فيه؛ لأنَّ أمور النَّاس لا تستقيم إلا بطاعتهم.

◆ كان الصَّحابة- رضوان الله عليهم -في قتالهم للفرس والروم يقولون: أمرنا بإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة ربِّ العباد، فكان جهادهم رحمة للأمم المجاورة، فكان الفرس يستعبدون من تحت أيديهم من شعوبهم، والروم كذلك، وجاء الإسلام ليُحررهم من رق العبودية والاستعباد إلى عبادة الواحد الأحد، وأمنوا في الإسلام وحصل لهم الخير، قال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣]، الفتنة هنا: الشرك.

◆ الطَّرِيق الشرعي للدخول إلى الإسلام هو النُّطق بالشَّهادتين، وهو أول واجب على المكلف، فأوَّل واجب هو شهادة أنَّ لا إله إلا الله، فكل من يريد أن يدخل في الإسلام ينطق بالشَّهادتين، والنُّطق باللسان يشمل الإقرار والاعتقاد بالقلب لما يقوله بلسانه، ثم يمثل ويعمل، فالاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله؛ لا يتم إلا بمثل هذا، وهو أول واجب على المكلف. وهذا هو منهج أهل السُّنة والجماعة وعقيدتهم.

◆ عقيدة أهل البدعة من الطوائف الكلامية: يقولون: إنَّ أوَّل واجبٍ على المكلف هو النَّظر، أو القصد إلى النَّظر، أو الشُّك! وهذا أخذ من تراث الأمم السابقة، ومن زُبالة أفكار البشر!

◆ لا بد أن يُعلم أن حُبَّ النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يجب أن يكون أعظم حبٍّ بعد حبِّ الله- عزَّ وجلَّ-وهو تابعٌ لمحبة الله- عزَّ وجلَّ-ولازمٌ لهذه المحبة، والله- عزَّ وجلَّ-بيِّن التلازم في سورة آل عمران، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران ٣١]، فمحبة الله يستلزم منها محبة النَّبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وطاعة النَّبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

◆ محبة الله ومحبة الرَّسول- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -هي طريق الجنة وإن قصُرَ بالعبد العلم، فقد يكون العبد لديه قصور في العمل، فأعظم ما يتقرَّب إلى الله- عزَّ وجلَّ-به هو محبته، ومحبة رسوله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

◆ الإنسان يبلغ منازلًا في الجنة، لأن الجنة منازل متفاوتة، منازل عليا بسبب الاعتقاد القلبي ومحبة النَّبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أو بشفاعة الصَّالحين، أو بأن يلحقه الله- عزَّ وجلَّ-بأبويه وهما أعلا منه منزلةً.

◆ أن محبة النَّبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -لها مظاهر، يُعرف بها إن كانت المحبة صادقة أو كاذبة: لأنَّ كل يدَّعي هذه المحبة، وإنما الشَّأن ليس بالدَّعوى، وإنما موافقة الدَّعوى للعمل.

◆ من أعظم مظاهر محبة النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :طاعته، واتباعه، والتَّأسي به- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -في أفعاله، وأن تحافظ على سنة النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -القولية والعملية؛ فهذا دليل على أنك مُحبٌّ للنبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فمن أحبَّ تأسَّى وأطاع، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]

◆ من مظاهر محبة النَّبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وشواهداها: التَّحاكم إلى سنَّته- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وإلى شريعته والرِّضا بذلك، ولا يجد في قلبه حرج، فإذا جاءه الأمر عن الله وعن رسوله قال: سمعنا وأطعنا.

◆ من مظاهر محبة النَّبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -الدَّب عن النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -من قالة السُّوء، ولازال النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يُطعن فيه ويُتكلم فيه من أعداء الدين والملة من المتقدِّمين والمتأخِّرين، وشواهد هذا في العصر الحديث!

◆ فمن يُحب النَّبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يذبُّ عنه ويدافع عن سنَّته من تحريف الغالين وانتحال المبطلين، وهذا من محبة النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -حتى يكون الدِّين الذي جاء به محمد- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كما جاء دون غلو أو جفاء.

◆ من الغالين في محبة النَّبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -طوائف، مثل: الصوفية الطُّرقية، بأشكالهم وألوانهم وطرقهم المتنوعة!

◆ نهى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عن الغلو في حقه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لأنَّ النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال : «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ» ٩ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

◆ من غلو النصارى في عيسى بن مريم أنهم قالوا : إنه ابن الله، قال تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرُ ابْنِ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة] ٣٠ :، فهذا من الغلو في عيسى بن مريم، تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا، ولهذا فالنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول : «لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطَرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ، فَإِنَّمَا أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»، فحذر من الغلو في حقه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وفي حقِّ الصالحين أيضًا، فقال : «لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى: اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ» ١٠ ، يُحذر مما صنعوا.

◆ النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لا يعلم الغيب إلا ما أعلمه الله، قال تعالى : ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل] ٦٥ :، وقال تعالى : ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام] ٥٩ :، فهذا كله لا يعلمه إلا الله - عَزَّ وَجَلَّ.

◆ النَّبِيُّ لَا يَعْلَمُ إِلَّا مَا أَعْلَمَهُ اللَّهُ بِهِ، فلا يعلم النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إلا إذا جاء جبريل بالوحي وأخبره، والنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هُزِمَ أصحابه يوم أحد، والنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ثَبَتَ، وَكُسِرَتِ رِبَاعِيَّتُهُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَشُجَّ رَأْسُهُ، وَدَخَلَتْ حَلَقَتَيْنِ مِنْ جِلْقِ الْمَغْفَرِ فِي وَجْهِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَسَالَ الدَّمُ مِنْهُ، فَلَوْ كَانَ يَعْلَمُ الْغَيْبَ مَا مَسَّهُ السُّوءُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ مِنَ الْغَيْبِ إِلَّا مَا أَعْلَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ، وَيَجْرِي عَلَيْهِ مَا يَجْرِي عَلَى الْبَشَرِ مِنَ الْأَلَمِ وَالْمَرَضِ، فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ.

الدرس الثاني

◆ للإيمان حلاوة وطعمٌ ولذَّةٌ يجدها الإنسان المؤمن، فهذه الحلاوة وهذه اللذائذ التي يجدها المؤمن يجدها في قلبه.

◆ للإيمان حلاوةٌ يجدها العبد في قلبه، وهذه الحلاوة وهي من بشائر المؤمن، ومن النعيم الذي يُعطيه الله - عَزَّ وَجَلَّ - في الدُّنْيَا؛ ولأجلها يتحمل المشاق والصَّعَابَ، ومن خلال هذه المشاق والصَّعَابَ يُميز الله - عَزَّ وَجَلَّ - بين الصَّادِقِ والكاذب في الإيمان.

◆ قال بعض العُبَّاد مَمَّنْ كَابَدَ التَّعَبُودَ لِلَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - وَالطَّاعَةَ وَأَلِفَ ذَلِكَ : "مساكين أهل الدنيا، خرجوا منها ولم يذوقوا منها أحلى ما فيها". قيل : وما أحلى ما فيها. قال : "محبة الله". هذا عبدٌ ذاق طعم محبة الله - عَزَّ وَجَلَّ.

◆ ذُكِرَ عَنْ تَقِي الدِّينِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةٍ أَنَّهُ قَالَ : "إِنَّ فِي الدُّنْيَا جَنَّةً مَنْ لَمْ يَدْخُلْهَا لَمْ يَدْخُلْ جَنَّةَ الْآخِرَةِ".

◆ نُقِلَ عَنْ بَعْضِ الصَّالِحِينَ وَالْعِبَادِ أَنَّهُ قَالَ: "إِنَّا فِي لَذَّةٍ لَوْ عَلِمَهَا الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ لَجَالِدُونَا عَلَيْهَا بِالسَّيُوفِ".

◆ حلاوة الإيمان يجدها المؤمن، ولهذا كما قال بعض العباد: "لذة الطاعة عند أهلها أَلَذُّ مِنْ لَذَّةِ المعصية عند أهلها"، وذلك لأنَّهم أَلْفَوْا هذه الطاعات، فوجدوا حلاوة هذه الطاعة في قلوبهم وتلذَّذُوا بها، فذاقوا طعمَ الإيمان الذي به تسَلُّو الحياة، ويُتَحَمَّلُ لأجله المشاقَّ، فليس المحبوس ولا المأسور ولا المنعَّص مَنْ كان في بلاء، ولكن من حُبَسَ عن طاعة الله - عَزَّ وَجَلَّ - وعن الإيمان بالله - عَزَّ وَجَلَّ - فهذا هو المنعَّص وهذا هو المنكَّد، وهذا صاحب المعيشة الضَّنْكَ الذي قال الله عنها: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٤] :

◆ حلاوة الإيمان لا تُنالُ إلا بالمجاهدة، ولهذا قال ثابت البناني - رَحِمَهُ اللهُ - أحدُ شيوخ البخاري: "كَابَدْتُ الصَّلَاةَ عَشْرِينَ عَامًا، وَتَنَعَمْتُ بِهَا فِيمَا بَقِيَ"، أي: فيما بقي من عمره، فدلَّ هذا على أنها مجاهدة.

◆ ولهذا قال الله - عَزَّ وَجَلَّ - مُخْبِرًا أَنَّ هذه الأمور لا تُنالُ إلا بجِهَادِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ وَالْهَوَى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] :

◆ لَذَّةُ الإيمانِ إِنَّمَا تكونُ بإصلاح السَّيرَةِ، فَمَنْ أَصْلَحَ سِريرَتَهُ أَصْلَحَ اللهُ علانيته - كما كان يقول السلف - وَمَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ أَصْلَحَ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ.

◆ لَذَّةُ الإيمانِ تُنالُ بالمجاهدة والتَّقَرُّبِ والتَّعَبُّدِ والخضوعِ والإنابة. وهذه مرتبةٌ من مراتب الإيمان، ومن لذائذ الإيمان، ومن عاجلِ بشرى أهلِ الإيمان.

◆ لا يؤمنُ الإيمانُ الكاملُ إلا أن يكونَ اللهُ ورسوله أحبَّ إليه من ولده ووالده والنَّاسِ أجمعين، فلا يبلغ حقيقة الإيمان وأعلى درجاتِ الإيمان إلا بهذه المنزلة.

◆ مَنْ لم يكن الرَّسُولُ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أحبَّ إليه من ولده ووالده والنَّاسِ أجمعين؛ فعليه أن يُراجع نفسه، ويستكمل من الإيمان؛ لأنَّه لم يصلِ إلى المرتبة التي يُحَمَّدُ لأجلها، فدلَّ على أن إيمانه ناقص.

◆ مَنْ قَدَّمَ محبَّةَ غيرِ اللهِ تعالى ومحبَّةَ غيرِ الرَّسُولِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على محبَّةِ اللهِ ورسوله دلَّ ذلك على نقصٍ في إيمانه، فعليه أن يُراجع نفسه، وأن يستكمل هذا الإيمان، حتى يكون له الإيمان الكامل.

◆ أمر الله وأمر رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من جهة الامتثال والطاعة يجب أن يمثِّلَ النَّاسُ جميعًا لأمر الله ولأمر رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

◆ يقولون: لا نلتزم إلا للكتاب، وأمَّا السنَّة فلا، كما في الطائفة التي سمَّت نفسها بالقرآنيين، وهذه الطائفة ظهرت متأخرًا.

◆ الطائفة المسماة بالقرآنيين فهؤلاء جاءت الردود من أهل العلم عليهم، وأول ما ظهرت هذه البدعة كانت في بلاد الهند بدعم من الدول الاستعمارية؛ لأنهم إنكار لسنة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

◆ قول الله- عزَّ وجلَّ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١]، فدلَّ على أنَّ التَّامِّي لا يكون إلا باتباع النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنَّ السُّنَّة عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هي السُّنن القولية والفعلية والتقريرية.

◆ قال الله- عزَّ وجلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، فدلَّ على أنَّ النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يُطاع استقلالاً.

◆ حذَّر الله تعالى من معصية النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومعصية النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تكون بعدم الإيمان بما جاء عن سنته وما جاء عنه من قول أو فعل أو تقرير، قال الله- عزَّ وجلَّ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ﴾، أي: أمر النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. قال: ﴿أَن تَصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]؛

◆ قال إمام أهل السنة في زمانه- الإمام أحمد -ليُحذِّر الإنسان الحذر البالغ أن يردَّ أحاديث النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أو يُشكك فيها: "لعل إذا ردَّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزَّيغ فيهلك"، يعني: إذا ردَّ قول النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بعقله.

◆ الصَّحابي الجليل عبد الله بن عمر- رضي الله عنه وعن أبيه -لمَّا تكلم أحد أبنائه في حديثٍ؛ غضبَ عليه غضباً شديداً، وقال: "أراني أحدثك عن النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وتقول كذا وكذا..."، وكذلك نُقل عن عبد الله بن مسعود، وغيره من أصحاب النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

◆ لا يجوز للإنسان إذا جاءه الأمر من الله ومن رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أن يُعمل فيه عقله السَّقِيم وفهمه السَّقِيم، بل عليه الامتثال، وما يُشكِّل عليك في ذهنك فعليك أن تسأل عنه أهل العلم.

◆ أجمع أهل العلم والأئمة قاطبة على حُجِّيَّة السُّنَّة، كالإمام الشافعي، وأحمد، ومالك، وقبلهم أبي حنيفة؛ فهذا إجماع لا يسع الإنسان أن يخرج عنه.

◆ إنكار السُّنَّة النَّبَوِيَّة وإنكار حُجِّيَّتِها فيه إبطالٌ للشريعة، ووجه ذلك: أنَّ فرائض الإسلام وشرائعه إنَّما جاءت عن طريق سنَّة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصلاة الطُّهْر أربع والمغرب ثلاث، وأوقات الصَّلوات، ودخول الشَّهر وخروجه في صِيام رمضان، ونصاب الزَّكاة؛ فكلُّ هذه الأحكام من أركان الإسلام جاءت عن سنَّة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فلا يمكن للإنسان أن يستقل بفهم الإسلام دون فهم سنَّة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

◆ كل من خالف سنَّة النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وقع في البدعة، فأهل البدع ليسوا هم أهل السُّنَّة؛ بل هم مُفارقون للسُّنَّة، فمن الفِرَق التي خالفت أهل السُّنَّة والجماعة في حُجِّيَّة السُّنَّة النَّبَوِيَّة فضَّلُوا عن الصِّراط المستقيم واتبَعوا غير سبيل المؤمنين طوائف من الشيعة الذين يعتمدون على مصادر غير مصادر السُّنَّة

المعروفة، كروايات "الكافي" و"بحار الأنوار" وما شاكل ذلك مما لا إسناد له، وإنّما هي منسوبة للأئمّة الاثني عشر، وكل هذا مُخالِفٌ لسُنّة النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فهذه عندهم هي السُّنّة المروية، ولا إسناد لهم، وإنّما بدأ تدوين هذه الروايات تقريبًا في المائتين والتسعين بعد هجرة النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأوّل مَنْ جعل هذه الآثار والروايات هو أبو جعفر القُفَيْي.

◆ لا يُمكن أن يُفهم القرآن إلا بسُنّة النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهو من حفظ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لدينه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]:

◆ أهل الإسلام بالاتفاق يرون أنّ السُّنّة حُجّةٌ، وأنّهم يُفارقون أهل البدع فيها، وهذا هو الفِصْل بين أهل السُّنّة وبين غيرهم.

◆ المعتزلة لا يقبلون من السُّنّة إلا ما وافق عقولهم، فميزان القبول والردّ عندهم ليس هو الإسناد، فأهل السُّنّة عندهم ميزان القبول والردّ في الحديث المروي عن النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هو الإسناد والمتن، أن يكون الإسناد خالي من الشُّذوذ والعلّة، والمتن كذلك، والإسناد ثابت، فكل رجال السُّنّة عندهم قاعدة، أنّه إذا صحّ الحديث قالوا به.

◆ المعتزلة فلا ينظرون لإسناد ولا لمتن؛ إنما ينظرون إلى عقولهم في القبول والردّ، ولأجل هذا قالوا بتقديم العقل على النُّقل، وألّف شيخ الإسلام ابن تيمية كتاب "درء تعارض العقل والنقل"، فالعقل الصَّريح لا ينافي النُّقل الصَّحيح، بل يوافقه، فهم قدّموا العقل وجعلوه الأصل وحكّموا عقولهم في سنّة النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لأنّ صحّة النُّقل عندهم وصدق الرِّسالة إنّما ثبت بالعقل، فهم جعلوا العقل هو الأصل، فلا يعود على أصله بالإبطال، وهذا أصل متفق عليه بين أهل الكلام جميعًا.

◆ السُّنّة هي الوحي الثَّاني، قال الله تعالى عن نبيّه - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣]، فالسُّنّة وحي آخر، ولهذا فإنّ من السُّنّة ما أخبره النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عن ربّه - سبحانه وتعالى - ويُسمّيه العلماء بالحديث القدسي.

◆ الإنسان العامّي وأنصاف المتعلّمين وغير المتخصّصين في العلوم الشرعيّة عليهم بالمُحكّمات، فالمُحكّم هو أنّ القرآن والسُّنّة حُجّة، قال تعالى: ﴿إِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]، وقال النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي»، فالردّ عن التَّنّازع يكون للكتاب والسُّنّة، ومَنْ يشكّك في هذا فهو يشكّك في أصل الإسلام، فلا يجوز للإنسان أن يُجالس هؤلاء؛ لأنّه لا يؤمن أن يقع في قلبه شيء من الرِّغ فيهلك، وكما قال السلف - رحمهم الله -: «الشُّبهات خطّافة»، وإنّما سعي القلب قلبًا لتقلُّبه، والحي لا تؤمن عليه الفتنة، والإنسان - بحمد الله - آمن على يقينٍ وبينةٍ، ولا يجوز له أن يزغزع هذا اليقين بالشُّبهات، فيحذر من مجالسة هؤلاء ومجادلتهم في مثل هذا؛ لأنّ هذا إجماع للمسلمين قاطبة، فهذا يُشكك في الإجماع، فما يُقبل قوله، ولا تُقبل الشُّبهات التي يُدلي بها، وأنّ هؤلاء مصيرهم ومقاصدهم التَّشكيك في الإسلام، والعود على الإسلام بالإبطال،

ولا يزال المعادين للإسلام منذ بُعث النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - والعداوة باقية، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِّنَ الْمُجْرِمِينَ ۖ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴾ [الفرقان ٣١]، وقال: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢]، ولكن حكمةً وامتحاناً من الله - عَزَّ وَجَلَّ - أن تظهر هذه الأقوال حتى تُدْفَع، فينبغي أن يكون الإنسان على يقين وعلى صريح الإيمان، وأن يحذر هذه الشُّبهات، خاصةً أن شبكات التواصل الآن حافلة بمثل هؤلاء المشكِّكين، وباب التشكيك بحرَّ لا ساحل له، سيدشكِّكونك في دينك، وفي سنَّة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وبعضهم يشكِّك في القرآن - نسأل الله السلامة والعافية - ويشكِّكونك في وجود الله - عَزَّ وَجَلَّ - فالتشكيك بحرَّ لا ساحل له، والشَّيطان لا يزال يقودهم إلى هذا التشكيك، فالوسوس بضاعة التشكيك، والوسوسة تارةً تكون شيطانيةً من جهة القلب، وتارةً تكون وسوسة إنسيَّة؛ لأنَّ هذه بضاعتهم التي يُنفقونها، ولهذا ينبغي للإنسان ألاَّ يُضيع وقته مع هؤلاء، وأن يتعلَّم العلم النَّافع، فالعلم النَّافع هو ما جاء عن الله وجاء عن رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

◆ لن تجد أمثلاً من قراءة كلام الله - عَزَّ وَجَلَّ - بتدبرٍ لصرفِ هذه الأهواء عن قلبك وهذه الوسواس، فإذا أقبل الإنسان على ربِّه وهذا القرآن وهذا الوحي أزال الله عنه هؤلاء المشكِّكين، والتزم الصَّراط المستقيم.

◆ لزوم السنَّة يُقابله الإحداث والبدعة، فإذا لم تلزم السنَّة وقعت في البدعة، وإنَّما إحياء السنن إماتة للبدعة، وإماتة البدعة هي إحياء للسنَّة.

◆ يُعبَّر بالسنَّة: تارةً بالتَّوحيد، أي أنَّ السنَّة هي الاعتقاد، مسائل توحيد الرُّبوبيَّة، وتوحيد الألوهيَّة، وتوحيد الأسماء والصفات، ولهذا صَنَّف العلماء كتباً ورسائل في السنَّة، وأوردوا مسائل الاعتقاد، ككتاب "السنَّة" لعبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل، و"السنَّة" للبرهاري، و"أصول السنَّة" للخلال تلميذ الإمام أحمد، و"شرح أصول السنَّة" لللالكائي، و"شرح الإبانة في أصول السنة" لابن أبي بطة، إلى غير ذلك من المصنَّفات، فدلَّ هذا على أنَّ السنَّة هي مسائل الاعتقاد.

◆ تارة يُعبَّر بالسنَّة عند الفقهاء: بما قابل الواجب، يعني: هو ما حُتَّ على فعله على غير وجه الإلزام.

◆ السنَّة عند الأصوليين: هي ما أُضيفَ إلى النَّبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ، وهكذا عند محدِّثين. فتعرَّف السنَّة بحسب اختصاص مَنْ يبحث في السنَّة النَّبويَّة.

◆ النَّبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حرَّضَ على لزوم سنَّته ورغَّب في ذلك، وحذَّر من إيقاع البدع، وأخبر أنَّ سبيل البدع هو الاختلاف والافتراق، والافتراق لا يكون بعده اجتماع، وهذا خلاف ما أمر الله به وما أمر به رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -

الدرس الثالث

◆ البدعة اصطلاحاً- أو المعنى الشرعي لها -فقد عُرِفَتْ بتعاريف مُتَعَدِّدَة، ولعلَّ أجمع هذه التعاريف: أنَّها طريقة في الدين يُضَاهِي بها الطَّريقة الشرعيَّة، بغرض التَّعَبُّد لله تعالى.

◆ قول عمر- رضي الله تعالى عنه: **"نِعَمُ الْبِدْعَةُ هَذِهِ"** يُريد بها البدعة من جهة اللُّغة، ويدلُّك هذا على أنَّ التَّراويع ليست بدعة في الدين؛ لأنَّ النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -صَلَّاهَا يَوْمًا أو يومين أو ثلاثة- كما نُقِلَ -ثم ترك النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -ذلك، فكان يُقَرِّهِمْ على فعلها في المساجد، ثُمَّ ترك ذلك- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وقد جاء ذلك مُصَرِّحًا به في الأحاديث خشية أن تُفَرِّض على أُمَّتِهِ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -رحمةً بهم، فلمَّا زال المقتضي صَلَّاهَا الصَّحَابَةُ- رضوان الله عليهم- في عهد أبي بكرٍ وفي عهد عمر- رضي الله تعالى عنهما -ولكن عُمر جمعهم على إمامٍ واحدٍ، وقد قد كانوا يُصَلُّون أفرادًا.

◆ الواجب هو لزوم الصِّراط المستقيم، الذي يسأله المسلم في كلِّ ركعةٍ من ركعات الصَّلوات، ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة. ٦]:

◆ النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أمرنا بلزم جماعة الدين، فقال: **«عليكم بالجماعة -أي جماعة الدين- فإن يد الله مع الجماعة»**.

◆ أهل الجماعة هم أهل السُّنَّة والجماعة الذين لزموا سُنَّة النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -في العقيدة والعمل، وهذه عقيدة الأئمة الأربعة، وعقيدة السلف الصَّالح، فَمَنْ أراد الهداية إلى الصِّراط المستقيم عليه أن يلزم طريقتهم ومنهجهم حتى يكون له هذا الاهتداء.

◆ وصية الله- عزَّ وجلَّ -للأنبياء والرُّسل واحدة من لدن نوح- عليه الصَّلَاة والسَّلَام -وهو أوَّل الرسل إلى نبينا محمدٍ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وهي إقامة الدِّين وترك التَّفَرُّق فيه، ولهذا فإنَّ الله- عزَّ وجلَّ -جعل دين الإسلام أفضل الأديان، وناسخ الأديان التي قبله، قال الله- عزَّ وجلَّ: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران. ٨٥]:

◆ جماعة الدِّين: هي الاجتماع على العقيدة، وعلى أصول الإيمان، وعلى أركان الإيمان.

◆ مَنْ أراد أن يلزم الجماعة فعليه أن يلزم ما كان عليه النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -والصَّحابة، فهي ليس لها قطر واحد؛ فقد تكون في أقطار مُتعددة، فجماعة الدِّين هم جماعة أهل السُّنَّة.

◆ مِنَ المُهم عند أهل العلم أنَّ النُّصوص تُستقرأ وتُفهم وتُجمع بعضها إلى بعض؛ فقد جاء عن النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -لُزوم جماعة الدين- أي: في الاعتقاد -وجاء بلزوم جماعة الأبدان، ولهذا نقول: إنَّنا أمرنا بلزوم جماعة الدين ولزوم جماعة الأبدان.

◆ يجب أن يجتمع المسلمون على إمام واحد، ولكن لو قُدِّرَ أنه لم يحصل هذا؛ فجاز تعدُّد الأئمة، فيكون لكلِّ بلدٍ إمام، وهذا صرَّح به أهل العلم، بل حكوا الإجماع على جواز تعدُّد الأئمة، وأن أحكامهم نافذة، وأنه يُسمَع ويُطاع لهم في المعروف.

◆ لا بدَّ أن يعلم المسلم أن السُّنَّة مُلازمة للجماعة، فتعرف أن اجتماع الناس لا يكون إلا بالسُّنَّة، وأن البدعة مُلازمة للفرقة، فإذا أردنا أن نجتمع الناس؛ فعلينا أن نجتمعهم على السُّنَّة والاعتقاد الصَّحيح؛ لأنَّ مَنْ خالف الاعتقاد الصَّحيح فهو مُفارق للجماعة، ولهذا لو نظرت في أحوال المسلمين وتبَّعت تاريخ المسلمين؛ لوجدت أن الفرقة مُلازمة لأهل البدعة.

◆ لو تبَّعت تاريخ أهل البدع والفرقة لوجدت أنَّهم أهل خروجٍ بدءًا من الخوارج، ونهايةً بالمُرَجَّة، مع أنَّ المرجئة يقولون: "لا يضر مع الإيمان ذنب"، ومع ذلك فهم أهل سيف؛ لأنَّ البدعة تتبعها الفرقة، فإذا أردنا أن نجتمع الناس فعلينا أن نجتمعهم على كتاب الله وسُنَّة رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

◆ لا يُمكن أن يجتمع النَّاس إلا على الاعتقاد الصَّحيح، وعلى التَّوْحِيد، وعلى ما وصَّى الله تعالى به نوحًا وما وصَّى به محمدًا - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من إقامة الدِّين وإقامة التَّوْحِيد، ونبذ الشِّرك، والاعتقاد الصَّحيح في توحيده في ألوهيَّته وفي ربوبيَّته وفي أسمائه وصفاته، فلا يُمكن أن تجتمع الأئمة على الشُّعارات وعلى الأيدلوجيا المصنوعة من قبل البشر، والتَّاريخ والواقع يشهدان بذلك، فإنَّ مصيرهم إلى الافتراق والاختلاف والمنازعة، وأما إذا اجتمعوا على الدين فإنَّهم وإن حصل خلاف بينهم؛ فإنَّهم ينزعون إلى الاجتماع، لأنَّ أصولهم ومرجعيتهم واحدة، وتحاكمهم إلى كتاب الله وإلى سُنَّة رسوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فهذا هي وصايا الأنبياء، ووصايا النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لأُمَّته.

◆ مَواعظ النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مُوجزة وبليغة، ويُراعى فيها أحوال السَّامعين وقلوبهم، قال عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُ - وهو من فُقهاء الصحابة: "كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ؛ كَرَاهِيَةَ السَّامَةِ عَلَيْنَا"، فهذه وصية للدُّعاة ولأهل الخير؛ أنهم يتحَيَّنون الأوقات المناسبة، وأن تكون الموعظة وجيزة، ولهذا فإنَّ عائشة - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا - تقول: "كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثًا لَوْ عَدَّهُ الْعَادُّ لَأَخْصَاهُ"، وهذا يدلُّ على أنَّ الموعظ ومُعلم النَّاس الخير لا بد له أن يحرص على أن يكون كلامه واضحًا وبَيِّنًا ومُوجزًا وفَصِيحًا يفهمه النَّاس جميعًا، ولا يتنطَّع في حديثه.

◆ صحيح أن النَّبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مات؛ ولكن سُنَّته - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حيَّة، فينتفع للإنسان بها ويسمعها ويتأملها ويتدبرها، فمن خصائصه - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه أُعْطِيَ جوامع الكلم، فيتكلم بالكلام الوجيز البليغ العظيم النَّفع.

◆ الموعظة من منهج الأنبياء والمرسلين، ومن منهج نبينا محمدٍ؛ والترغيب فيما عند الله - عَزَّ وَجَلَّ - والتهريب من عذاب الله - عَزَّ وَجَلَّ، فإنَّ الأصل في كلام الأنبياء هو الوعظ والبشارة والندارة.

◆ الوعظ هو هُدي الأنبياء، وما أحوَج النَّاسِ إلى الوعظِ والتذكير والتبشير والنِّذارة؛ فيكون الإنسان على وسطية من جهة البشارة، ومن جهة التنذير؛ لأن بعض الناس يُغلب جانب الوعيد ويترك جانب الوعد! بل إن الجمع بينهم أن يحذره من النار ويرغبهم في موعود الله- عزَّ وجلَّ- بالجنة، فيبشّرههم ويُنذرههم، كما هو هُدي النبياء.

◆ أعظم موعظة في القرآن الكريم، فالله سَمَّاه موعظة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس ٥٧]، فتأمل قول الله "موعظة" و"شفاء"، فهو شفاء لمرضى القلوب، لأن القلوب تمرض كما أنَّ الأبدان تمرض، فلا علاج لها إلا بتدبُّر القرآن، وأن يعظ الإنسان نفسه، وأن يعظ المؤمن إخوانه بهذا القرآن العظيم، فكل موعظة لا تستند على كتاب الله وعلى سنة رسوله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فنفعها ضعيف؛ لأنَّ الله- عزَّ وجلَّ- يقول لنبينا محمد- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق ٤٥]، فالأصل في الذكرى والوعظ هو التذكير بالقرآن، وبقوارع التَّنزيل ليفهما الناس، فيقبلوا على ربِّهم، وينتهوا عمَّا حرَّمَ الله- عزَّ وجلَّ.

◆ المطلوب من أهل الإيمان أن يتَّعظوا بما في القرآن من مواعظ، وأن يُحيوا قلوبهم، لأنَّ لا حياة لقلوب الناس إلا بالقرآن العظيم، فأثر القرآن عظيم، فما أحوَج الأُمَّة إلى مراجعة كلام الله- عزَّ وجلَّ- وقراءة القرآن بالتدبُّر، فمن لا يتدبر القرآن يضعف انتفاعه به، والله خاطبَ وعاتبَ أهلَ الإيمان الذين لا يتعظون بقوارع التَّنزيل، فقد سَمَّاه العلماء "قوارع التَّنزيل"، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد ١٦]، نسأل الله السلامة والعافية.

◆ شرط الموعظة الحسنة التي توافق هُدي النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هو التَّخَوُّلُ بها، لا تُكرَّر ولا يُطوَّل فيها؛ لأنَّ النَّبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ما كان يُطيل خشية السَّامة، مع أنَّ كلامه- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أعظم الكلام وأنفعه، ومع أنَّ الخطبة في الجمعة عبادة، ومع ذلك نهى النَّبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عن الإطالة، وأثنى الرسول- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- على مَنْ لا يُطيل في خُطبة الجمعة فقال: «إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مِثْنَةٌ مِنْ فَقْهِهِ، فَأُطِيلُوا الصَّلَاةَ، وَأَقْصِرُوا الْخُطْبَةَ»، كَأَنَّ النَّبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يقول: الفقيه مَنْ لا يُطيل الخطبة، وهذه دعوة لكل خُطباء المسلمين، أن يُراعوا أحوال السَّامعين ولا يُطيلوا الخطبة، وليس ثَمَّ عذر، لأنَّ كلام النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- واضح وبَيِّن، فلا يُطيل عليهم.

◆ فيا عبد الله! إن أردتَ الانتفاع وحياة القلب؛ فأقبل على كلام الله، وأقبل على كلام رسول الله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- واستعن بكل ما يُفسِّر لك كلام الله، وكلام رسوله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأنَّ هذا هو سبب النَّجاة، وسبب حياة القلوب.

الدرس الرابع

◆ الإمامة عند أهل الإسلام تنقسم إلى نوعين:

❑ ولاية اختيار، وهي الأصل في الولاية.

❑ ولاية التغلب.

وكلها واقعة في أهل الإسلام.

◆ ولاية الاختيار: هي اجتماع أهل الحل والعقد وأهل الشُّوكة على اختيار إمامٍ تتوافر فيه شروط الإمامة المعتبرة شرعًا:

❑ أن يكون قرشيًّا؛ لقول النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هَذَا الْأَمْرُ فِي قُرَيْشٍ مَا بَقِيَ مِنْهُمْ اثْنَانِ».

❑ سلامة الحواس من الآفات.

◆ مثال ولاية الاختيار: كما فعل الصحابة- رضوان الله عليهم -لما توفي النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وباعوا أبا بكرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وهي ولاية شرعية ولا شك.

◆ ولاية التغلب، وهذه وقعت في الصِّدْر الأوَّل في الإسلام، وقعت ولا زالت تقع، وهذه كذلك ولاية شرعية ويجب فيها السَّمْع والطَّاعة لمن تَوَلَّى أمرَ المسلمين، وهي التي أشار إليها النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في حديث العرياض: «وإن تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ».

◆ ولاية التغلب: هي أن يتغلب الإمام على النَّاسِ بأيِّ نوعٍ من أنواع التغلب، سواء بالسيف والقهر، أو بغيره من الأسباب، ويكون مقصوده التغلب والقهر.

◆ الإمام المتغلب قد لا تجتمع فيه شروط الولاية كما جاءت عن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -ولكنه تغلب؛ فيجب له السَّمْع والطَّاعة في المعروف، وهذا مُقَرَّرٌ في الشريعة، وهذا الذي أشار إليه النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وأمر فيه بالسَّمْع والطَّاعة، فقال - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ»، والنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -لا يُمكن أن يوصي الأُمَّة إلا بما فيه خيرٌ للأُمَّة في مصالح دينها ودنياها.

◆ من حين وفاة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -بدأ النقص، ولا يزال حتى وقعت الفتنة في زمن عثمان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وظهر هذا الأمر، ولهذا نُقِلَ عن أنسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -أنه قال: "لما قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ما فرغنا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا، فما هي بالقلوب التي نعرف".

◆ بدأ النقص والاختلاف في الأُمَّة بعد وفاته - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -ثم ظهر واضحًا وبدا للنَّاسِ بعد مقتل عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وفي ولاية عثمان صار التَّشْغيب على عثمان والكلام في الوالي، والمجاهرة بالإنكار على ولي الأمر وقد وقع من أحاد الناس، ولهذا جاء في أثرٍ عن حذيفة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -في صحيح البخاري، لما سأله عمر عن الفتن؛ فقال حذيفة: "لَيْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا بَأْسٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابٌ مُغْلَقٌ"، يقصد عمر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنه في ولايته كان هو الذي يُمَثِّلُ الباب.

◆ قال عمر " :أَيْكَسَرُ الْبَابُ أَمْ يُفْتَحُ؟". فقال حذيفة: "بَلْ يُكْسَرُ".

◆ حذيفة بن اليمان- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -هو صاحب سِرِّ النَّبِيِّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهو مَنْ حَفِظَ أَحَادِيثَ الْفَتَنِ .
فقال عمر: "إِذَنْ لَا يُغْلَقُ أَبَدًا".

◆ كان الحجاج من نواب ولاية بني أمية، وكان بنو أمية يؤمُّونَ النَّاسَ للصَّلَاةِ؛ فكانوا يؤخِّرونَ الصَّلَاةَ، فبعض العلماء قال: إنَّهم كانوا يؤخِّرونَ الصَّلَاةَ عن وقتها الاختياري إلى وقتها الاضطراري، وقيل: إنَّهم كانوا يؤخِّرونها عن وقتها حتى يخرج الوقت، كما صرَّحَ بذلك ابن تيمية- رَحِمَهُ اللَّهُ -فقد جاء عن النبي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أنه قال: «إِنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ يُمَيِّنُونَ الصَّلَاةَ». قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «صَلِّ الصَّلَاةَ لَوْفَتَهَا فَإِنْ أَدْرَكْتَهَا مَعَهُمْ فَصَلِّ فَإِنَّهَا لَكَ نَافِلَةٌ»، فإذاً أمر النبي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -بالصَّلَاةِ على وقتها.

◆ المراد بسنَّة الخلفاء الراشدين هنا: هي طريقة الخلفاء الرَّاشِدِينَ التي توافق سنَّة النبي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -في سياسة الناس، وفي أمر الدين والدنيا.

◆ إذا أراد الناس السَّلَامَةَ لدينهم فعليهم بتقوى الله- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -وإذا أرادوا السَّلَامَةَ لدنياهم فعليهم أن يسمعوا ويُطيعوا في المعروف، وليس معنى ذلك إقرار الحاكم على المعصية أو ما يقع منه، لأنَّ الإصلاح له باب آخر وجاء في أحاديث أخرى، وهي أن يكون النَّصْحُ سرًّا لا علانية كما جاء في الأحاديث المصرَّح بها.

◆ الباعثُ الصَّحِيحُ والنِّيَّةُ الطَّيِّبَةُ الصَّالِحَةُ لا تكفي في قبول العمل؛ فلا بدَّ أن يُعَلَّمَ الصَّوَابُ، فبعضُ الناس يقول إنه يُريد الخير! فلا يكفي أن تريد الخير، أو أن تريد ما عند الله- عَزَّ وَجَلَّ -لأنَّ شرطًا لقبول العمل: الإخلاص والمتابعة.

◆ الله رفعَ عن هذه الأُمَّةِ الْأَصَارَ وَالْأَغْلَالَ التي كانت على الأممِ السَّابِقَةِ من جهةِ التَّكَالِيفِ، في أمر النَّجَاسَةِ، وفي أمر العبادَةِ، وفي أمور كثيرة؛ لأنَّ النبي- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -بُعِثَ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ، ولهذا بَيَّنَّ اللَّهُ- عَزَّ وَجَلَّ - أنَّ أهلَ الْكِتَابِ وَقَعُوا فِي الْغُلُوِّ، وَنَهَانَا عَنِ الْغُلُوِّ وَالتَّنَطُّعِ؛ كما أخبر الله- عَزَّ وَجَلَّ -عن أهلِ الْكِتَابِ مِنَ النَّصَارَى، فقال تعالى: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد ٢٧]، فثُمَّ ابْتَدَاءَ رَهْبَانِيَّةِ النَّصَارَى، وَكَلَّفُوا أَنْفُسَهُمْ مَا لَمْ يَكْلِفْهُمُ اللَّهُ بِهِ- عَزَّ وَجَلَّ، فَالرَّهْبَانِيَّةُ تُصَادِمُ الْفِطْرَ، ولهذا لا تزال تسمع بينَ الْفَيْنَةِ وَالْأُخْرَى مَا يَنْدِي لَهُ الْجَبِينَ بسبب هذا المنهج الرَّهْبَانِيِّ وإن كان في طائفةٍ دُونَ أُخْرَى، تعرف طوائفُ النَّصَارَى مِنَ الْكَاثُولِيكِ أَوِ الْبُرُوتُوسْتَانَتِ أَوِ الْأَرْتُودُكْسِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الطَّوَائِفِ، فمثلا الْكَاثُولِيكِ عندهم هذه الرَّهْبَانِيَّةُ، وَلَكِنْ الْبُرُوتُوسْتَانَتِ لَهُمْ مِنْهُجٌ آخَرٌ يُخَالِفُهُمْ، وَمِنْ رَهْبَانِيَّتِهِمْ تَرَكُ التَّزَوُّجَ، وَأَنْتَ تَسْمَعُ مِنَ التَّعْدِيَّاتِ فِي هَذِهِ الْأُمُورِ؛ لِأَنَّ تَرْكَهُمُ لِلزَّوْجِ مُصَادِمٌ لِلْفِطْرِ، فَدِينُنَا لَيْسَ فِيهِ رَهْبَانِيَّةٌ، كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيَّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أنَّهُ تَزَوَّجَ النِّسَاءَ.

◆ كان النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -إذا عمل عملاً استدأمه، وأخبر الأُمَّة أَنَّ خَيْرَ الأَعْمَالِ أدومها وإن قلَّ، فهذا هو الاعتدال، وهو المحافظة على الفرائض، واجتناب المحارم، فهذا هو الاعتدال والوسطية.

◆ النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أرشدَ الناسَ إلى العمل الذي يكون قليلاً ويُستدام عليه؛ لأنَّ من طبيعة النفس البشريَّة أن يكون لها إقبال وإدبار، فلمَّا تأخذ من العمل القليل وتستديم هذا العمل؛ فلا شكَّ أنَّه بهذا القليل يحصل الخير الكثير، وهذا هو منهج النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وهذه هي شرائع الإسلام، وهذا هو اعتدال الإسلام، فموافقة سنة النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -مطلوبة، ومنها ما أرشد إليه النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -من سنَّة النِّكاح، فإن يترك الناس النكاح فليس هذا من شريعة الإسلام؛ لأنَّ النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -قال: **«وأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ»**، والزواج وقيام والأسرة من العبادات بالنسبة للمسلم، ويحصل به الخير الكثير؛ ولأنَّ التَّأثير الذي يأتي من الغرب على بلاد المسلمين يُرْهِد في مثل هذه الشَّرائع، ومن سنَّة النكاح؛ وهي سنَّة المرسلين، فلا بدَّ الإنسان أن يعرف هذا، وأن يكون موافقاً لهدي النَّبيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -إذا أراد لنفسه الصَّلاح وأراد لأُمَّته كذلك، فما ترك النَّبيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -من خيرٍ إلا وبينه لهذه الأُمَّة، وما ترك من شرٍّ إلا وحذَّر الأُمَّة منه، فهذه هي وصيَّة الإسلام، وهدي النَّبيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

◆ مَنْ أَرَادَ لِهَذِهِ الأُمَّة السَّلامَةَ والارتفاع والتَّهْوُض والتَّقَدُّمَ فعليه بهدي النَّبيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وهذا لا يكون تبعاً للهِوى ولا للشَّهَار؛ لأنَّ الأَمْر يُرَدُّ إلى كتاب الله، وإلى سنة نبيه- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -ولأنَّ الله- عزَّ وجلَّ -أرشدَ والنبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أرشدَ أَنَّهُ مَنْ تَمَسَّكَ بكتاب الله وبسُنَّة رسوله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فقد أفلح، وهذا التَّمَسُّك لا يكون عن هوى ولا عن فهم ذاتي، وإنما هو طريقة المرسلين والعلماء، ومنهج أهل السُّنَّة والجماعة في التَّلَقِّي لهذا العلم وهذا الهدي النَّبَوِي، لأنَّ مَنْ يُبَيِّن لك هذا الهدي وأَنَّهُ موافق للسُّنَّة أو مخالف لها هم العلماء، لأنَّهم هم هُداة النَّاس، فليس الأمر للأفراد أو عوام المسلمين، فثُمَّ مَنْ يَقُول إنه يفهم هدي النَّبيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -بكذا أو يفهم النصوص بكذا؛ فهذه فوضى لا يحصل بها الاهتداء.

◆ مَنْ أَرَادَ الْاهْتِدَاءَ فعليه بأخذ العلم عن أهله فيما يتعلَّق بأصول الدِّين وفي فروعِهِ؛ لأنَّ التَّشَكُّيكَ لأهل الإسلام طالَ حتَّى أصول الدِّين وفروعِهِ، فكل شيءٍ داخل في منظومة التَّشَكُّيكَ التي يُراد بها التَّنْفِير عن هذا الدِّين القويم، فالله- عزَّ وجلَّ -أرسل النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -رحمةً للعالمين، فنقله هذا الدين هم العلماء، وهم الذين يُفسِّرون النُّصوص، وبحمد الله لم يُترك هذا العلم لكل أحد، فليس هو فهمًا لدنياً، أو فهمًا يصدر من العقول فقط؛ بل هو منقول ومحفوظ في كتب أهل العلم، ويُراجَع ويُعرَف، فهذا فيما يتعلق بمنهج النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وبما أخبر به النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -في هذه الأحاديث العظيمة.

الدرس الخامس

◆ الغربة هي: قلة من يؤمن بهذا الدين في أول بدايته، وكان هذا في الصدر الأول من الإسلام، حينما بُعث النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حتى كان النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ومن معه في نفرٍ قليل من أصحابه غرباء في قومهم، وهذا هو بدء الإسلام، وهذا هو وصف أهل الإيمان وأهل الإسلام.

◆ يجمع وصف الغرباء أنهم هم أهل الحق الذين أخبر النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لا يزالون في الأمة، قال- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْحَقِّ مَنْصُورَةٌ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ» كما هو مصرح به في الأحاديث، فهم أهل السنة والجماعة.

◆ الغربة هي أن يكون الإنسان مُتمسكًا بالحق والأكثر على خلافه في الاعتقاد وفي العمل، وفي أمورٍ كثيرة جدًا، والغربة تضعف وتقوى بحسب المكان والزمان، وقد تكون الغربة في مكانٍ، ولا تكون في مكانٍ آخر، فقد يتحقق هذا الوصف في مكانٍ وزمانٍ مُعيَّن دون مكانٍ وزمانٍ آخر، فالمطوب هو معنى الغربة، وهو أن يكون الإنسان مقيمًا على الحق.

◆ الغربة عامة وخاصة وجزئية، وتختلف باختلاف الزمان والمكان.

◆ قال سفيان الثوري عن هؤلاء الغرباء: «اسْتَوْصُوا بِأَهْلِ السُّنَّةِ خَيْرًا، فَإِنَّهُمْ غُرَبَاءُ».

◆ هؤلاء الغرباء هم الفرقة الناجية، والطائفة المنصورة في كل زمان ومكان، وكما تقدم في الحديث من قوله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ»؛ لأنهم مُقيمون على الحق، منصورون به في كلِّ زمانٍ ومكانٍ، وهؤلاء هم أهل الجهاد بالحق والحُجَّة والبرهان، ويدعون الناس إليه.

◆ جاء في الحديث: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، فالخيرية كلُّما بعدت عن عهد النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كلما حصل التَّنْقُصُ، ولا يزال الناس في نقصٍ، وهذا في العموم الأغلب، ولكن قد يكون في زمانٍ أو مكانٍ تغيَّر هذه النَّسَبِيَّة.

◆ الهوى: هو الميل إلى خلاف الحق، وقد جاء ذمُّه في النُّصوص، قال الله- عَزَّ وَجَلَّ -في وصيته لداود: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص. ٢٦: وقال الله- عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾] [النازعات. ٤٠:]

◆ الهوى يهوي بالإنسان إلى الميل عن الحق.

◆ فلا بد أن يكون هوى الإنسان تبعًا لما جاء به محمد- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

◆ الإنسان لا يخلو من هذا الهوى، والمطلوب أن يكون الهوى وفق ما جاء به محمد- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

◆ يكون الهوى مذمومًا حينما يكون المكلف مُتَّبِعًا له مُنْقَادًا له، وهذا هو الضَّابط.

◆ فالمطلوب من الإنسان أن يكون مُرادَه ملازمًا لما جاء به النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولعل كلام ابن تيمية يُفسر هذا، فيقول- رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: "فَإِنَّ أَصْلَ الْهَوَى مَحَبَّةُ النَّفْسِ وَيَتَّبِعُ ذَلِكَ بُغْضُهَا وَنَفْسُ الْهَوَى- وَهُوَ الْحَبُّ وَالْبُغْضُ الَّذِي فِي النَّفْسِ- لَا يُلَامُ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ قَدْ لَا يُمْلِكُ وَإِنَّمَا يُلَامُ عَلَى اتِّبَاعِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص. ٢٦]:

◆ فالمطلوب هو أن يكون هوى الإنسان تبعًا لما جاء به النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وموافقة ما جاء عن النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -سواء كان مرادٌ لذات النفس وهواها، أو خلاف ذلك.

◆ مغالبة الهوى من الجهاد الذي يُثاب عليه المؤمن، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت. ٦٩]:

◆ المطلوب من العبد أن يُغالب هواه ويُفَتِّش عنه؛ لأنَّ الهوى قد يأمرُك بقطيعة الأرحام، وقد يأمرُك بالحيف والظلم على مَنْ أَسَاءَ إِلَيْكَ، وإذا أَطَعْتَهُ فَقَدْ أَطَعْتَ هَوَاكَ، والله- عَزَّ وَجَلَّ -نهى وحرَّم الظلم.

◆ فالإنسان يُفَتِّش عن هذا الهوى ويتحرَّز منه، ويجعل ما تهواه نفسه تبعًا لما جاء به محمد- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

◆ ليس الميزان أن تهوى نفسك هذا الشيء؛ وإنما الميزن هو مُوافقة ما جاء به عن محمد- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالنصوص قاضية على هواك، والنصوص والتكاليف في أعمِّها الأغلب جاءت بمخالفة الهوى.

◆ مخالفة اليهود والنصارى وترك مُشابهتهم سببٌ لصالح القلوب واستقامتها، ومخالفتهم في جميع الشؤون مَقْصُودَةٌ لِلشَّارِعِ، وهذه المخالفة عامَّة في عاداتهم وأخلاقهم وسلوكهم وأدابهم، وإنك لتستغرب ممَّن يدعو إلى مُشابهة أهل الكتاب والأُمم السابقة في أمور كثيرة، وقد جاءت النصوص بمخالفتهم، وبالنهي عن مُتابعتهم، والنَّهْي عن أن يُتَّخَذُوا بَطَانَةً من دُونِ الْمُؤْمِنِينَ، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران ١١٨]، إلى غير ذلك من الآيات مطلوبٌ شرعيٌّ، ولهذا قال النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ» إذن ستكون هذه المُشابهة حتى فيما وقعت فيه الأُمم السَّابِقَةُ وهم بنو إسرائيل في أمور تُنْفِرُ مِنْهَا الْفِطْرُ السَّالِمَةُ؛ لأنَّ مَنْ أَتَى أُمَّةً علانيَّة لا شكَّ أَنَّ الْفِطْرَ السَّالِمَةَ تنفر من هذا؛ ومع ذلك سيقع في هذه الأُمَّة مثلما وقع في بني إسرائيل، ولا شكَّ أَنَّ هذا واجبٌ على أهل الإيمان أن يحذروا من مُشابهة هؤلاء، ومن متابعتهم.

◆ واجب الأُمَّة أن تحذر مسلك اليهود ومسلك النصارى، ويكفيك في بيان تحذير الله- عَزَّ وَجَلَّ -أن المسلم في كل ركعة من ركعات صلاته يتعوَّذ بالله من طريق اليهود ومن طريق النصارى، وذلك في قوله تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة ٧]، فالمغضوب عليهم هم اليهود، والضَّالُّون هم النصارى، فلا يُمكن أن يكون هناك اتِّفاق بين دين اليهود والنصارى وبين دين الإسلام الذين ختم الله- عَزَّ وَجَلَّ -بدينهم الأديان، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران ٨٥]، وقال: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران ١٩]:

◆ المطلوب من أهل الإيمان أن يكونوا دعاة إلى الحق وإلى الخير، وألا يحقروا من المعروف شيئاً، وألا يحقروا كلمة خيرٍ في الدَّعوة إلى هذا الدين القويم الذي جاء به محمد- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -وهو الذي يدعو إلى كل فضيلة وإلى كل خير.

◆ الدَّاعي إلى الهدى يكون له أجرٌ مَنْ تبعه مَمَّنْ هداهم الله- عَزَّ وَجَلَّ -بسببه، وهذا ترغيب لأهل الإيمان، وهو أن يكون الإنسان داعياً إلى الخير، ولا يحقر شيئاً من الخير في دعوة الناس إليه، ولا يحقر تبليغ شيءٍ من الحق الذي بلغه إذا علم أنه حق، فإنَّ بعض الناس يستخدم وسائل التواصل في نشر ما لم يتحقق في كونه خير، فلا بد أن يتحقق بعلم أن هذا خير، وأنه حق وموافق لما جاء عن النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -فيسعى في نشره وبيانه بين الناس، وقد قال النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -لعلي- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -وترغيباً لأهل الإيمان في الدعوة إلى الحق : **«وَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ»**، وحمَر النَّعَم هي أنفسُ الأموالِ عِنْدَ الْعَرَبِ.

◆ ينبغي للإنسان أن يكون على حذر، فكما أنه يحرص على أن يكون داعياً للخير؛ يحرص كذلك ويكون على حذرٍ من أن يكون داعياً إلى الشرِّ وهو لا يشعر، يفتح على الناس باب شرٍّ، ولهذا جاء في الحديث: **«وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا»**.

◆ في قصة قابيل وهابيل عبرة، قال تعالى: **﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾** [المائدة: ٢٧: الآيات، فقتله فكان عليه كفل كل مَنْ قُتِلَ؛ لأنه أَوْ من سَنَّ القتل في بني آدم، فانظر إلى عظيم الوزر! نسأل الله السلامة والعافية.

◆ أنَّ الإنسان وأنَّ الداعي إذا أراد أن يدعو؛ لابدَّ أن ينظر ويتأمل فيما يدعو إليه، هل هو حقٌّ وهدى أم ضلالة، هل هو حق وهدى وموافق لما جاء عن الله وجاء عن رسوله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -أم أنه ضلالة؛ لأنَّ الداعي قد يدعو إلى ضلالة وهو لا يشعر.

◆ يجب على الإنسان أن يكون قَوَّامًا على نفسه في النَّظر والتَّمحيص، والبيان والمراجعة، حتى يرى هل هو سائر على الصراط المستقيم أم على خلاف ذلك؟

◆ حريٌّ بطالب العلم وبالنَّاس جميعاً فيما يتكلمون في أمرِ الدين ألا يتكلموا في مسألة إلا ولهم فيها إمام، وأن يتركوا تفريعات المسائل في الدين للعلماء، حتى يكونوا على منهج أهل السُّنة والجماعة في تلقي العلم وفي تعليمه، فإنَّ السُّنن إذا كانت على ضلالٍ فإنَّ الإنسان يكون عليه وزرها ووزر مَنْ عمل بها إلى يوم القيامة، وهذا بحرٌ لا ساحلَ له، ولا عصمة إلا لمن عصمه الله- عَزَّ وَجَلَّ -ولهذا نقول دائماً: ربنا اهدنا الصراط المستقيم، وثبتنا على السُّنة حتى نلقاك.

◆ الإنسان إذا دلَّ عل خيرٍ فإنَّ له مثل أجر مَنْ فعل ذلك الخير، وإذا رَغِبَ في خيرٍ فإنَّ له أجر مَنْ فعل ذلك، وهذه بشارَةٌ لأهل الإيمان في أن يكون الإنسان داعياً للخير، وداعياً إلى كل فضيلة، وفي كل أمرٍ يأمر به النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، الداعين إلى إقامة الصلاة، المؤذنون، الأئمة، المرغَّبون في الخير، المذكرون للنَّاسِ بذكر الله- عَزَّ

وَجَلَّ -والساعين في الإصلاح بين النَّاس؛ كل هذا ثوابه لا ينقطع عن الإنسان، والإنسان قد لا يُبَاشِر العمل ولكن يُكْتَب له.

◆ الإنسان قد يعمل أعمالاً وهو لا يشعر وتُكْتَب له بسبب هذه النِّيَّة الصَّالِحَة، فالمطلوب هو التَّربُّع في الخير، والتَّنْفِير عن الشَّرِّ، والدَّعْوَة إلى الله- عَزَّ وَجَلَّ -وما زال أهل الإيمان والمجتمع المسلم بحاجةٍ إلى هؤلاء الدَّاعين إلى الخير والمرغِّبين في الخير بالحكمة، وبالتالي هي أحسن، وبالأسلوب اللطيف والرفق، لأن النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- قال: «**ما كان الرِّفْقُ في شيءٍ إلَّا زانَهُ ، ولا نُزْعَ من شيءٍ إلَّا شَانَهُ**»، فوظيفة المؤمن هي الدلالة على الخير، فيدل الناس على الخير، ويرغبهم فيه.

◆ من وظيفة المؤمن ومن عمله الذي ينبغي ألا ينفك عنه: الدعوة إلى سبيل الله- عَزَّ وَجَلَّ -وإلى الخير.

◆ المطلوب من أهل الإسلام: إحياء هذه السُّنن، ولهذا قال- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: «**مَنْ أَحْيَا سُنَّةً مِنْ سُنَّتِي قَدْ أُمِيتَتْ بَعْدِي**»، وسنن كثيرة جداً من سنن النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حصل لها الاندثار، وفي الحديث ترغيب لأهل الإيمان أن يُحيوا سنة النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ولكن لا يكون إحياء السنة إلا بعد العلم بها، فإذا علم أنَّها سُنَّة عن النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ورأى في مكانٍ أو زمانٍ قد جُهِلَتْ هذه السُّنن فليُعلمها النَّاس، وليدعُ الناس إليها، وليُطَبِّقها ويُظهرها حتى يألف الناس هذه السُّنَّة؛ فيكون له مثل أجر من عمل بها من الناس.

◆ الواجب على أهل الإسلام وأهل الإيمان أن يحرصوا على تعلُّم سُنَّة النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأنَّ مَنْ أَحَبَّ النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- تعلَّم سُنَّتَه القوليَّة وافعليَّة، وأذاكر النَّبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- التي كان يذكرها، قيامه ليل، أوراده التي كان يذكرها كاستفتاحات الصَّلَاة، فكم من استفتاحات النَّبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- للصَّلَاة جهلها النَّاس، فإذا أحيها المؤمن وعلمها للنَّاس كان له أجرهم، وكأذاكر الرُّكوع والسُّجود، وسنن كثيرة عن النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أُلْفَتْ فيها المؤلفات، ودُوِّنَتْ فيها الدَّواوين، فالواجب أن يسعى الإنسان في إحياء سُنَّة النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

◆ الواجب هو التَّحَقُّق من وصف العمل هل هو موافق للسُّنَّة، وجاء عن النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بإسناد صحيح أو لا؛ والآن بحمد الله العلم مُيسَّر.

◆ الحذر من نشر الأحاديث الموضوعة عن النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كما ينتشر الآن بين الناس في وسائل التواصل "أستحلفك بالله نشر هذه الرسالة"...، فكل هذه من البدع التي لا يجوز لأهل الإيمان أن يفعلوها، ولا أن يستخدموا هذا الأسلوب، فالإنسان يكون وفقاً على كتاب الله، وعلى سُنَّة رسوله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الدرس السادس

◆ زمنَ الفتنة يطول على الأُمَّة، وهذه الفتنة متنوِّعة تصيب النَّاس في تصوراتهم وفي عقائدهم، وفي سلوكهم؛ فلطول زمنِ الفتنة وحصول الإلف من النَّاس لها وعدم إنكارها يكون المنكر هو إنكار هذا الزلل وهذا الغلط

ومخالفة السُّنة، مثل البدع التي يألُفها الناس، ويتَّخذونها سُنَّة؛ وهي على غير هدي النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وهذا هو حال أهل الغربة في كل زمانٍ ومكانٍ؛ أنَّهم يكونون غرباء لمتسُكِّهم بالسُّنة.

◆ سلامة الأُمة مرهونٌ بوجود العلماء؛ لأنَّ العلماء هم الهداة، والنبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حدَّثنا بقصة مَنْ قتل تسعاً وتسعين نفساً؛ وهذا يدلُّ على فضل العالم، قال صلى الله عليه وسلم: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَغْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فُدِّلَ عَلَى رَاهِبٍ فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟»، وهذا الرَّاهِبُ قد يكونُ قارئاً وليس بعالمٍ، والرَّاهِبُ عابد؛ «فَقَالَ: لَا. فَقَتَلَهُ فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَغْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فُدِّلَ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةً نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ»، فالعالم افتاه وأرشدَه.

◆ الأفراد والمجتمعات بحاجة إلى العلماء؛ لأنَّهم هم الهداة الذين يُبلِّغون كلام الله - عزَّ وجلَّ - وفق فهم الصَّحابة والتَّابعين، يُبلِّغون كلام الله - عزَّ وجلَّ - وكلام رسوله، وهم الضَّمان للأُمة؛ لأنَّهم - بإذن الله - صمَّام أمن للبلد، كلما كثر العلماء وكلما كان أهل الحل والعقد يردون إليهم ويصدرون عن آرائهم في أمور الدين وأمور كثيرة؛ كلما كان هذا ضماناً للأُمة، فلزوم غرز العلماء هذا ممَّا جاءت به السُّنة النَّبَوِيَّة، وجاءت الوصايا من قِبَل الصَّحابة والتَّابعين على هذا التَّهَج، ولهذا أشار في الحديث وقال: «وَكَثُرَ أَمْرَاؤُكُمْ وَقَلَّ أَمَنَّاؤُكُمْ»، فهذا واقع النَّاس إلا مَنْ رحم الله - عزَّ وجلَّ - في المجتمعات!

◆ الأمانة قليلة، وكما مرَّ معنا في الحديث قول النَّبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَّلُ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمُ الْأَمَانَةُ»، وجاء في بعض الروايات: «أَنَّ الْأَمَانَةَ نَزَلَتْ فِي جَذْرِ قُلُوبِ الرِّجَالِ، ثُمَّ عَلِمُوا مِنَ الْقُرْآنِ»، فدَلَّ على أنَّ الأمانة من الدين، وإذا ضعفت هذه الأمانة وقلَّت وفقد الأُمن - كما هو حال النَّاس الآن - فإنَّ هذه علامات الفتنة.

◆ المقصود بزلَّة العالم: هي خطؤه وغلطه في أصول الدين وقواعده، أمَّا فروع المسائل والفقهيات والفرعيَّات؛ فالخطأ فيها مغفور؛ لأنَّه من موارد الاجتهاد، كأن يرى أنَّ هذا مكروهٌ أو مُحَرَّمٌ في المسائل التي يسوغ فيها الخلاف، فالكلام على الخلاف أو الخطأ في أصول الدين فيما يتعلق بتوحيد الله - عزَّ وجلَّ - في ربوبيَّته وأسمائه وصفاته وهذه المسائل الثَّابتة التي لا يسوغ فيها الخلاف، فإذا انحرف العالم وقال برأيه، وتبعه فئامٌ من النَّاس على هذا الخطأ؛ قيل إنَّ هذا من أسباب ما يقع به هدم الدِّين في قلوب النَّاس.

◆ من قواعد الشَّريعة أنَّ العالم إذا أخطأ في أصول الدِّين فإنَّه لا يُتَابَع على ذلك، وإن كان ما قاله - أو غلط فيه - مغفوراً له إذا كان من اجتهاد، أو شدَّ في فرعٍ من أصول الدِّين، أمَّا في الأصول فإنَّه يُبدَّع إذا قامَت عليه الحُجَّة.

◆ قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وليس لأحدٍ أن يتبع زَلَّات العلماء، كما ليس له أن يتكلم في أهل العلم الإيمان إلا بما هم له أهل"، يعني: واجب الأدب ممَّن كانت له سابقة في العلم، وإذا علِمَ منه إرادة الخير والثبات على السُّنة، فقد يقع في فرعيَّات المسائل، فخطأه مغفورٌ إن كان قد قال ذلك باجتهاد، كما وقع في مسائل مُتعدِّدة من التَّابعين، وممَّن جاء بعدهم، فإذا وقع الخطأ في فرعٍ لأصلٍ فإنَّه مغفورٌ له ولا يُتَابَع عليه؛ لأنَّه ليس له العصمة.

◆ زَلَّةُ الْعَالَمِ لَا يُتَابَعُ عَلَيْهَا، وَأَنَّ الْمُرَادَ بِهَذِهِ الزَّلَّةِ الْخَطَأُ فِي مَسَائِلِ أَصُولِ الدِّينِ دُونَ فِرْعَوِيَّاتِ الْمَسَائِلِ، حَتَّى يُفْهَمَ هَذَا عَلَى وَجْهِهِ.

◆ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هُمْ نَقْلُهُ هَذَا الدِّينَ، فَكُلُّ عِبَادَةٍ لَمْ يَفْعَلْهَا الصَّحَابَةُ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - فَلَا رَيْبَ أَنَّهَا إِحْدَاثٌ فِي الدِّينِ، وَقَدْ جَاءَ النَّصُّ مِنَ الْمُعْصُومِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّ الْإِحْدَاثَ مَذْمُومٌ وَمَرْدُودٌ، فَقَالَ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي حَدِيثٍ عَائِشَةُ الْمُتَّفَقُ عَلَى صَحَّتِهِ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»؛ وَلَئِنَّ الدِّينَ لَيْسَ بِحَاجَةٍ إِلَى تَكْمِيلٍ مَا فِيهِ، فَهُوَ كَامِلٌ بِذَاتِهِ وَبِهِ تَشْرِيعَاتُهُ، فَاللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - قَالَ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

◆ وَاجِبُ الْأُمَّةِ أَنْ تَقِفَ حَيْثُ وَقَفَ الصَّحَابَةُ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - وَهَذَا يُشِيرُ إِلَى أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَخْبَرَ أَنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ هِيَ مَا وَافَقَ الصَّحَابَةَ فِي تَعَبُّدِهِمْ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً، مَا أَنَا عَلَيْهِ الْيَوْمَ وَأَصْحَابِي»، فَالنَّجَاةُ فِي لَزُومِ هَدْيِ الصَّحَابَةِ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - فِي التَّعَبُّدِ، وَلِهَذَا فَإِنَّ إِجْمَاعَ الصَّحَابَةِ فِي مَسْأَلَةِ حُجَّةٍ، فَيَنْبَغِي أَنْ يُعْتَنَى بِهَذَا وَيُفْهَمَ هَذَا لِمَنْ أَرَادَ النَّجَاةَ مِنَ الْإِبْتِدَاعِ فِي دِينِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَإِذَا حَصَلَ مِنْ أَحَدٍ أَنْ أَظْهَرَ عِبَادَةً أَوْ أَظْهَرَ شَيْئًا سُئِلَ: هَلْ فَعَلَهَا الصَّحَابَةُ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ؟ حَتَّى يُعْلَمَ مِنْ قَرَأَنِ الْأَحْوَالِ أَنَّهَا إِحْدَاثٌ فِي دِينِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ.

◆ الْإِقْتِدَاءُ فِي الْعَمَلِ وَالِاتِّبَاعُ الْمُوَافِقُ لِلسُّنَّةِ هُوَ بِالْمِيتَةِ دُونَ الْحَيِّ، فَإِنَّ "الْحَيَّ لَا تُؤْمَنُ عَلَيْهِ الْفِتْنَةُ"، كَمَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ، وَالْفِتْنَةُ هُنَا: هِيَ الْمُتَغْيِرَاتُ.

◆ خَيْرٌ مَنْ يُقْتَدَى بِهِمْ هُمُ الصَّحَابَةُ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - وَهُمْ قَدْ مَاتُوا، فَهَمُ الَّذِينَ عَاصَرُوا التَّنْزِيلَ، وَشَاهَدُوا رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَجَاهَدُوا مَعَهُ وَمَاتُوا عَلَى ذَلِكَ، وَلِهَذَا أَشَارَ ابْنُ مَسْعُودٍ إِلَى ذَلِكَ بِوَصْفِهِمْ بِهَذِهِ الْأَوْصَافِ الْبَلِيغَةِ، وَهُمْ أَصْحَابُ الْقُلُوبِ الْبَرَّةِ، وَأَهْلُ السَّمَاحَةِ الْإِعْتِدَالِ، فَهَذِهِ وَصِيَّةٌ عَظِيمَةٌ مِنْ صَحَابِي جَلِيلٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - مِنْ فُقَهَاءِ الصَّحَابَةِ، وَبِلَزُومِ هَذِهِ الْوَصِيَّةِ يُعْرَفُ السُّبِّيُّ مِنَ الْبَدْعِيِّ مِمَّنْ يُعْنَى بِأَثَارِ الصَّحَابَةِ وَسُلُوكِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ، فَإِذَا كَانَ عَلَى هَذَا النَّحْوِ فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ أَرَادَ بِهِ خَيْرًا، وَهَذَا مَا أَوْصَى بِهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فَقَالَ ("): فَاعْرِفُوا لَهُمْ فَضْلَهُمْ وَاتَّبِعُوهُمْ عَلَى آثَارِهِمْ وَتَمَسَّكُوا بِمَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ أَخْلَاقِهِمْ وَسَيْرِهِمْ ("؛ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - فِي سَيْرِهِمْ وَفِي أَقْوَالِهِمْ أَعْمَالِهِمْ الْمُوَافِقَةَ لِلسُّنَّةِ لَا شَكَّ أَنَّهَا مَوْضِعُ اقْتِدَاءٍ، وَهَذَا مَا يَسْمِيهِ عُلَمَاءُ التَّرْبِيَةِ بِـ "الْقُدْوَةِ"، فَهَؤُلَاءِ أَهْلُ الْقُدْوَةِ، فَإِذَا أُرِدْتُ أَنْ تَقْتَدِيَ فَاقْتَدِ بِالرَّسُولِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَبِصَحَابَتِهِ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - لِأَنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَهْلُ الْإِقْتِدَاءِ بِالنَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَهَمُ أَهْلُ الْهُدَى الْمُسْتَقِيمِ، فَالزُّمُ طَرِيقَتَهُمْ وَمَنْهَجَهُمْ فِي الْإِعْتِقَادِ وَفِي الْفَقْهِ وَفِي السُّلُوكِ حَتَّى تَحْصَلَ لَكَ النَّجَاةُ مِنَ الْفِتَنِ وَالْمُتَغْيِرَاتِ - نَسْأَلُ اللَّهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ مِنْهَا.

◆ الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ قَدْ بَيَّنَّهُ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِأَنَّهُ ضَرَبَ الْكِتَابَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَالْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ مَذْمُومٌ، وَقَدْ بَدَأَ الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي قِصَّةِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الَّذِي قَالَ لِعَمْرِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: كَيْفَ تَقْرَأُهَا وَأَنَا سَمِعْتُهَا مِنَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَلَى نَحْوِ خِلَافِ ذَلِكَ"، أَيْ: مِنْ جِهَةٍ

القراءة؛ لأنَّ القرآنَ أنزلَ على سبعةِ أحرفٍ، وكان هذا من التيسيرِ للأُمَّةِ حتى جمع عثمان بن عفان- رضيَ اللهُ عَنْهُ- الأُمَّةَ على حرفٍ واحدٍ، والقراءات العشر من ضمن الحرف الواحد الذي جمعهم عليه، فكان هذا من الأسباب التي نهى النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لأجلها عن المراء في القرآن.

◆ ينبغي أن يُصان كتاب الله- عزَّ وجلَّ- عن أن يكون فيه مراء وجدال، وأن يقول: قال الله كذا...، ويُعارضه الثاني على وجه الدال والمراء، وإنَّما الذي ينبغي هو تصديق الكتاب بكلِّ ما فيه، وما يستشكله المكلف عليه أن يبحث عن تفسيره في كلام أهل العلم، أمَّا أن ذاك ينزَعُ بآيةٍ وذاك ينزَعُ بآيةٍ فهذا ممَّا جاء الذَّمُّ فيه عن النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

◆ المطلوب هو ردُّ المتشابه إلى المُحكَّم، فالمتشابه إمَّا أن يُفسَّرَ برَدِّه للمُحكَّم فيُعلَمَ وجه الإشكال ويُزال، كأن يُشكل في معنى آيتين بمخالفةٍ إحداهما للأخرى، فيُكشَفُ هذا بتفسير أهل العلم وكلامهم، وللعلماء في تفاسيرهم أجوبة كثيرة جدًّا، وبعض العلماء المعاصرين ألفَ مؤلَّفًا فيما يُشكل من ذلك وهو: "دفع إيهام الاضطراب عن أي الكتاب" للشيخ محمد الأمين الشنقيطي- رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى رحمةً واسعة.

◆ المتشابه إمَّا أن يُفسَّرَ، أو يؤمَّن به ويُفَوَّض إلى عالمه، فقد لا يكون عند الإنسان جوابًا لهذا المتشابه، وربما سبق معنا ما يتعلق بالجواب المجمل والجواب المفصل عن المتشابه.

◆ الأصل في الأحكام الشرعيَّة هو التَّعَبُّد، وإذا ظهرت الحكمة للمكلف فهي ممَّا يُذكر ولكن لا يُجزم به؛ لأنَّ الأصل في الأحكام الشرعيَّة هو التَّعَبُّد؛ ولأنَّ الاستغراق في البحث عن الحكم قد يُفهم منه مُنافاة التسليم لله- عزَّ وجلَّ- لأنَّ الإسلام كما هو معروف هو الاستسلام لله بالتَّوْحِيد، والانقياد له بالطَّاعة، والبراءة من الشِّرك وأهله.

◆ الإسلام قائم على الاستسلام، وهذا الاستسلام لا يعني إلغاء العقل، ولكن لا يتعمَّق في بحث مسائل العلل بعقله المجرَّد دون أثرٍ ودون إمامٍ متَّبَع في هذه المسائل؛ ولأنَّ هذا التَّسلسل قد يُدخل الإنسان في دوَّامة من هذه الأسئلة التي قد لا يجد فيها جوابًا؛ لأنَّ الله- عزَّ وجلَّ- هو العليم الخبير.

◆ التَّسليم عند أهل السُنَّة يُنافي التَّسليم عند غيرهم من العقائد المحرَّفة كما هو عند اليهوديَّة والنَّصرانيَّة؛ فمبحث التَّسليم لديهم مختلف؛ لأنَّ عندهم التسليم هو إلغاء العقل، وإنَّما عند أهل السُنَّة أنَّ التَّسليم لا يلغي العقل؛ بل يُعطي العقل حظَّه في النَّظر والاعتبار، وقد أمر الله- عزَّ وجلَّ- بالاعتبار فقال: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢].

◆ ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية- رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- القاعدة بأنَّ الشَّريعة والنُّصوص تأتي بما تُحار به العقول لا بما تُحيلُ العقول، يعني: أنَّ التسليم بمعنى الإحالة، وإلا فإنَّ العقل له اعتبار في الشَّريعة، والباحث عن دقائق هذه الحُكَم ينبغي أن يُربِّي النَّاس على التَّسليم لله- عزَّ وجلَّ- وأنَّ هذا تعَبُّدٌ وطاعة، فلو فتحت هذا الباب لماذا نفعل كذا؟...، لماذا نفعل كذا؟...؛ فهذا من مداخل الشَّيطان على قلب العبد.

◆ الطريق إلى العلم النافع إنما يكون بما جاء عن الله، وبما جاء عن رسوله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

◆ الفقه في الدين: هو الفهم، ومعرفة طرق استنباط الأحكام من الأدلة الشرعية، والعلم بقواعد الإسلام العظام، وبأصول الإسلام وثوابته، والعلم بالحلال والحرام.

◆ الفقه يشمل: فقه الأصول وفقه الفروع، وكله من الفقه في الدين، ولهذا فإن الإمام أبا حنيفة سقى كتابه في الاعتقاد: "الفقه الأكبر"، فدلّ على أنه من الفقه.

◆ مَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا رَزَقَهُ اللهُ- عَزَّ وَجَلَّ- الفقه في الدين، ولا بدّ منه التّفقّه في الدين من العمل بهذا الفقه، ولا سبيل لهذا الفقه إلا بطريق العلم، وهو أوّل الواجبات على المكلف، وهو أن يعلم قبل أن يعمل، ولهذا أشار الله- عَزَّ وَجَلَّ- إلى ذلك فقال: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ﴾ [محمد ١٩]، وقال الإمام البخاري- رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: "باب العلم قبل القول والعمل"، وهذا يدلّك على أهميّة العلم في الإسلام، وأنّه من الأمور التي ينبغي أن يُعنى بها طالب العلم، بل إنّ الله- عَزَّ وَجَلَّ- فرّق بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون، فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر ٩]، ففضّل الله أهل العلم ورغب فيه، ودين الإسلام يحثّ ويحضّ على العلم والتّعلّم.

◆ الواجب على المسلمين جميعاً التّعلّم والتّفقّه في الدين، وطريق ذلك بتعلّم ما في الكتاب والسّنّة، ولهذا فمن عجز عن ذلك فإنّه يسأل أهل العلم، قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل ٤٣]، وذلك حتى يؤدّي ما كلّفه الله- عَزَّ وَجَلَّ- على الواجبه الذي يرضاه- سبحانه وتعالى.

◆ من العلم ما هو فرض عيني، ومن العلم ما هو فرض كفاية، فمثلاً علم العبد والأمة المؤمنة بأمر الصّلاة وأصول الدين من الواجب، فلا يُمكن للإنسان أن يصليّ حتى يتعلّم، ولهذا فإنّ النّبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لمّا رأى المُسيء صلاته قال له: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»، ولم يعلم المسلمون كيف صلى رسول الله أو كيف حجّ إلا بالتّعلّم، فلا بدّ للإنسان أن يتعلّم، فيتعلّم المؤمن والمؤمن ما يؤدّي به ما فرضه الله- عَزَّ وَجَلَّ- عليه من الفرائض، ويتعلّم ما نهى الله عنه حتى ينتهي عن المحرمات على وجه الإجمال.

◆ لا بدّ من التّعلّم والتّفقّه في دين الله- عَزَّ وَجَلَّ- حتى يحصل للإنسان أن يؤدّي هذه العبادات وهذه الشّعائر على النّحو الذي يرضاه الله- عَزَّ وَجَلَّ.

الدرس السابع

◆ إنّ الله- عَزَّ وَجَلَّ- مثّل الذين يحفظون العلم ولا يعملون به كمثّل الحمار كما قال تعالى عن الطائفة الغضبيّة- المغضوب عليهم- وهم اليهود، قال- عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِاللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة ٥]؛

◆ المثل الذي ذكره النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في موقف النَّاس من الوحي؛ لأنَّ النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- شَبَّهَ ما جاء به من الهُدَى- ويشمل هذا كلام الله- لَأَنَّهُ كُلُّهُ وحي؛ فشَبَّهَ الوحي بالماء الذي تحصل به الحياة، فكما أنَّ الماء الذي ينزل من السَّمَاء تحصل به حياة الأرض، وتتغيَّر به أحوال الأرض من الجَدَب إلى أن تزهر وتبتَّهج بكلِّ لونٍ؛ فكذلك الوحي إذا نزلَ على القلوب وانتفعت القلوب به فيحصل لها هذا الذي يحصل للأرض حينما يُصَيِّبها الماء الذي من السَّمَاء.

◆ قال: «كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ طَائِفَةٌ طَيِّبَةً، قَبِلَتْ الْمَاءَ»، هذه الطَّائِفَةُ هي الطَّائِفَةُ الطَّيِّبَةُ، فهي التي قَبِلَتْ هذا الوحي وانتفعت به عِلْمًا وَعَمَلًا، وهي مِن قَبْلِ هذا العلم الذي جاء به محمد- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهذا الوحي وعِلْمُهُ، فهي أرضٌ أَنْبَتَ الكَلأَ الكثير الذي انتفع به الإنسانُ والحيوانُ، وابتَّهج به الإنسان والحيوان؛ فأحيا الله به هذا القلب الميت، وأحيا به قلوب الآخرين.

◆ الوحي هو حياة القلوب، وزينة القلوب وبهجتها، والوحي هو تعلُّم ما جاء عن الله وما جاء عن الرسول- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فإذا أردنا الحياة لقلوبنا فعلينا أن نحياها بالقرآن وبسُنَّة النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وبفهم الصَّحابة والتَّابعين لمعاني القرآن، ومعاني سُنَّة النَّبِيِّ الكريم- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

◆ إِنَّ النَّبِيَّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُخَاطِبُ النَّاسَ بما يناسب بيئتهم وبما يُشَاهِدُونَ، فضرب لهم مثلاً بالأجَادِب، وهي الأرض الصُّلْبَةُ التي يُصَبُّ عليها الماء فتحفظه، ومثَّل النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ذلك بمن حفظ العلم وتعلَّمه، ولكنَّه لم يعمل به العمل الكامل، فهو حفظه ولم يَتَفَقَّه فيه التَّفَقُّه الواجب، وهو داخل ثناء النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لقوله: «نَضَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها فَأَدَّاهَا كَمَا سَمِعَهَا، فَرُبُّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»، فهو قد حفظ العلم ونقله للناس ولكن لم يَتَفَقَّه فيه التَّفَقُّه المطلوب؛ لأنَّ الشَّانَ هو العلم والتَّعلُّم، والعلم مع الفقه؛ فهو سالمٌ من الدِّمِّ من وجهٍ، وإن كان يقع عليه التَّقْصِير من وجهٍ، قال تعالى: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦] :

◆ طائِفَةُ مَثَلٍ لها النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالقيعان، وهي أرضٌ مُسْتَوِيَةٌ لا تمسك الماء ولا تنبت الكَلأَ، فَإِنَّ الله تعالى جعل الناس أصْنَافًا كَأَصْنَافِ الْأَرْضِ؛ لأنَّ الأرض ليست على مُسْتَوًى واحد، فبعض الأراضي ينصب عليها الماء فلا تمسكه، وإنما تجذبه لسافل الأرض ولا تحفظه، كأنَّها لم ينزل عليها الغيث، وَمَثَلُ النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بذلك الذي لم يرفع رأسه للعلم، ولم يعمل ولم يتعلَّم؛ بل مرَّ عليه العلم والوحي دونَ أن ينتفع به، ولهذا كان السَّلَف- رحمهم الله- يقولون: «اغْدُ عَالِمًا أَوْ مُتَعَلِّمًا، وَلَا تَكُنِ الثَّالِثَ فَتَهْلِكَ»، فعلى طالب العلم وعلى العامِّي أن ينظر في حاله في أي فئة هو، وتبليغ العلم ونشر الخير ليس مقصودًا على طلاب العلم؛ بل هو على كُلِّ أَحَدٍ بشرط أن يعلم أنَّ ما ينشره بين النَّاس حقٌّ وموافقٌ لهدي النَّبِيِّ- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فيُبَلِّغ هذا الدين بالعلم أو بالظَّنِّ الغالب.

◆ هذه أحوال النَّاس في نشر الخير، ونشر ما جاء عن الله، وما جاء عن رسوله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- في مثل هذه الأمور.

◆ طالب العلم عليه بالمحكم في طلب العلم، وقد بينَّا أنَّ المحكم هو القواعد الثَّوابت الواضحات البَيِّنات التي يحصل بها فهم أصول الدِّين وأصول العلم في أبواب العلم، وفي أجناسه المختلفة، فثَمَّ أشياء محكمات على طالب العلم أن يتعلَّمها.

◆ قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ، وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران ٧٩]، وجاء عن ابن عباس أنَّ الرَّبَّانِي هو: "الذي يُعَلِّم النَّاس بصغار العلم قبل كباره"، يعني: بمحكمه قبل متشابهه، فطالب العلم إذا أراد أن يطلب العلم عليه بالمحكم، ولا يصير ديدنه السؤال عن الحكمة، أو السؤال عن المشكل في العلم وهو لم يعرف أصول العلم؛ لأنَّه إذا لم يعرف أصول العلم لا يستطيع إذا جاءت المسائل المشكَّلة أن يفهمها على وجهها الصَّحيح، وإذا وقعت التَّوازل فإذا لم يكن عنده فهمٌ ودرايةٌ لقواعد الإسلام وأصوله الكبرى حصل له الزلل في أصول الدين وفي فروعه، وهذا لا ينبغي أن يكون عليه طالب العلم.

◆ ممَّا يُعين الإنسان في ضبط هذه الأمور: أن يتعلَّم العلم عن أهله؛ لأنَّ ابن سيرين قال: "إِنَّ هَذَا الْعِلْمُ دِينٌ، فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ".

◆ لا بدَّ للإنسان أن يأخذ العلم عن العلماء، وخاصَّةً فيما يُشكل؛ فيسأل أهل العلم ويرجع إليهم، وأن يلزم طريقة أهل العلم في التَّفَقُّه وفي التَّعلُّم وفي التَّعليم، حتى يحصل له السلامة من الزَّلَل.

◆ قوله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَوَارِيُّونَ»، وهم الخُلَص من أتباعهم، فكل نبيٍّ له خُلَص من أتباعه، كما كان لعيسى بن مريم حواريُّون.

◆ الواجب على أهل العلم وطالِب أن يردُّوا النَّاس إلى الحق وإلى الهدى بمجاهدة هؤلاء الخُلوف الذين لا بدَّ أن يُجاهدوا؛ لأنَّهم يحصل عندهم التَّغيير، فالواجب المجاهدة لهم حسب الوسع والقدرة، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة ٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ [الطلاق ٧]، وقال: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن ١٦] :

◆ طالب العلم عليه أن يشتغل بالتَّبليغ والمجاهدة، والمطلوب من الأُمَّة المجاهدة بمراتب الجهاد الشَّرعيَّة، باليد، ثم اللسان، ثم القلب، ولا يُعذَّر أحدٌ في الإنكار القلبي كما هو معلومٌ من الشَّريعة.

◆ يلزم من التَّسليم للنبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ألا ينظر في هذه الكتب التي حصل فيها التَّغيير والتَّبديل؛ لأنَّ مطالعتها تورثك التَّحير، ولا شكَّ أنَّ هذا من أمراض القلوب، وهذا أورده الشيخ- رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- ليبيِّن أن طالب العلم عليه أن يقرأ العلم النَّافع، وأن يُعرض عن العلوم التي لا تنفع، مثل العلوم التي لا فائدة منها، والعلوم التي تورث الشَّك، مثل: علم الكلام والتَّعمُّق فيه، فلا شكَّ أنَّ هذا لا يُناصر طالب العلم.

◆ الله- عزَّ وجلَّ -أَخَذَ الْعَهْدَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ بِاتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قال: «وَلَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا اتِّبَاعِي»؛ لِأَنَّ مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ- عزَّ وجلَّ -إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ أَنَّهُ إِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ فِي زَمَانِكَ أَنْ تُؤْمِنَ بِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾، الْإِيمَانُ وَالنُّصْرَةُ. قَالَ: ﴿قَالَ أَأَفَرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾- قَالُوا أَفَرَرْنَا، قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران ٨١]، وكفى بالله شهيداً!

◆ لا يسع المكلّف إلا أن يعلم أن ماء جاء به محمد- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -شاملٌ على كلّ الحقِّ والهُدَى والخير الذي جاء في الكتب السابقة، إذ أنّه لو بُعث النَّبِيُّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -في زمن ذلك النبي ما وسعَه إلا أن يتّبع محمد- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -ومن علامات القيامة في آخر الزّمان نزول عيسى بن مريم، وأنّه سيحكم بشريعة محمد- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

◆ معنى "جوامع الكلم": "أَنَّ النَّبِيَّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -يَأْتِي بِالْكَلَامِ الْمُخْتَصَرِ الَّذِي يَشْمَلُ مَعَانٍ عَظِيمَةً.

◆ طالب العلم يحتاج أن يكون مخلصاً في طلبه للعلم، فلا ينبغي للمؤمن أن ينطوي على غشٍّ في مثل هذه الأمور، فينبغي أن يُريد وجه الله- عزَّ وجلَّ -في تعلُّمه وفي علمه، والنَّصِيحَةُ لِلأُمَّةِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -في حديث تميم قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»، فينصح للمسلمين، وفي حديث جرير بن عبد الله البجلي قال: "بَايَعْتُ النَّبِيَّ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -عَلَى النَّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ"، فواجب المسلمين أن يتناصحوا، وأن ينصح بعضهم لبعض، وأن يحب الخير بعضهم لبعض، وبه يكون التَّوَادُّ والتَّراحُم لهذه الأُمَّة.

◆ إِنَّ تَحَقُّقَ الْإِخْلَاصِ فِي الْقَلْبِ، وَالنُّصْحَ لِلْمُسْلِمِينَ، وَلِزُومَ الْجَمَاعَةِ؛ كُلُّ هَذِهِ أَسْبَابٌ فِي إِجَابَةِ الدُّعَاءِ وَدَفْعِ الشُّرُورِ، وَهَذَا يَحْصُلُ فِي عِبَادَاتٍ كَدُعَاءِ الْقَنُوتِ فِي رَمَضَانَ، وَدُعَاءِ الْخُطْبِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَدُعَاءِ الْمُسْلِمِينَ بعضهم لبعض، كقولنا: "اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ، وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ"، الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ وَرَدَ الْمُسْلِمُ؛ لِأَنَّهُ بِهَذَا الدُّعَاءِ يَحْمِلُ الرَّحْمَةَ لِلأُمَّةِ، وَدُعَاءُ بعضهم لبعض بِأَنَّ اللَّهَ- عزَّ وجلَّ -يُصْلِحُ أَحْوَالَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَنْ يَصْرِفَ عَنْهُمْ الشُّرُورَ فِيهِ سَبَبٌ لِلْإِجَابَةِ، وَفِيهِ تَرْغِيبٌ لِأَهْلِ الْإِيمَانِ بِالدُّعَاءِ الْعَامِ؛ لِأَنَّ الدُّعَاءَ مِنْهُ دُعَاءٌ عَامٌّ وَمِنْهُ دُعَاءٌ خَاصٌّ؛ فَيَنْبَغِي لِلأُمَّةِ أَنْ يَكُونَ لَهَا حَقٌّ مِنْ دَعَائِكَ، فَالْأُمَّةُ عَلَى عُمُومِهَا، وَأَعْيَانُ الْأُمَّةِ وَعِلْمَائُهَا وَأَمْرَائُهَا؛ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ لِلْإِنْسَانِ مِنْ وَرْدِهِ الدُّعَاءُ لَهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ يُوَفِّقُهُمْ وَيَسُدُّهُمْ وَأَنْ يَصْلَحَهُمْ، وَأَنْ يَنْصُرَ بِهِمُ الدِّينَ، فَهَذَا مَعْنَى: «فَإِنْ دَعَوْهُمْ تُحِيطْ مِنْ وَرَائِهِمْ»، يَعْنِي: سَبَبٌ لِإِجَابَةِ الدُّعَاءِ، وَسَبَبٌ لِلْحُوطِ وَالْحَفْظِ، فَرُبَّمَا دَعْوَةٌ تَخْرُجُ مِنْ أَحَدِهِمْ يَفْتَحُ اللَّهُ- عزَّ وجلَّ -لَهَا بَابَ الْإِجَابَةِ، فَيَحْصُلُ بِذَلِكَ الْخَيْرُ الْعَظِيمُ، وَلِهَذَا نَقَلَ عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّهُ قَالَ: "لَوْ كَانَ لِي دَعْوَةٌ مُجَابَةٌ لَصَرَفْتُهَا لِلسُّلْطَانِ"؛ لِأَنَّ بِصَلَاحِهِ صَلَاحُ الْأُمَّةِ.

◆ من علامات أهل السُّنَّةِ أَنَّهُمْ يَدْعُونَ لِحُكَّامِهِمْ وَسُلَاطِينِهِمْ بِالتَّوْفِيقِ وَالسَّدَادِ، فَهَذَا مِمَّا جَاءَ التَّرغِيبُ فِيهِ، وَجَاءَ بِهِ الشَّرِيعَةُ، وَعَلَيْهِ عَمَلُ السَّلَفِ.

◆ على طالب العلم: الحرص على حفظ القرآن، وتعلُّم السُّنَّة، وتعلم السُّنن القائمة التي كان عليها العمل، ومواضع الاتفاق في مسائل الدِّين؛ لأنَّ طالب العلم إذا لم يتعلم هذه المسائل يحصل عنده الشُّذوذ في العلم، فيتبني غرائب المسائل، ويقع في الشُّذوذات من المسائل، ولكن إذا تعلَّم السُّنَّة القائمة يحصل له السَّلامة من أن يشذَّ عن طريقة السَّلف في التَّفَقُّه والعلم. وكذلك الفرائض.

◆ من أعظم الجرم أن يقول الإنسان في كلام الله- عزَّ وجلَّ- ما ليس به علم، ولهذا لما سئل أبو بكر الصِّديق- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- عن قوله تعالى ﴿وفاكهة وأب﴾ [عبس ٣١]، فهو- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- جهل معنى هذا الغريب من القرآن، فقال: "أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ!"، مع أنَّ غيره من الصَّحابة- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- علم معنى الأَبِّ وهو: المأكول للأنعام، فالفاكهة مأكول الإنسان، والأَبِّ مأكول الأنعام من العلف وما شاكل ذلك، كما نقل عن ابن عباس وجماعة.

◆ أبو بكر الصِّديق- رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- لم يتجاسر أن يفسِّر لفظة لا يعرف معناها في كتاب الله- عزَّ وجلَّ- وهذا يدلُّك على أنَّ طالب العلم بحاجة إلى أن يكون وقَّافًا، فما يُشكل عليه من المسائل فالواجب عليه أن يقول: لا أعلم، ولا أدري.

◆ قال السَّلف- رحمهم الله: "نصفُ العلم: لا أدري"، وسئل الإمام مالك- رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى- في مسائل معدودة ومذكورة في المصنَّفات؛ فأجاب في نصفها بـ "لا أدري، ولا أعلم". فلا يعبُّ طالب العلم أن يقول: لا أدري ولا أعلم "فيما لا يعرفه.

◆ الإنسان يحذر من وساوس الشَّيطان ومن هذه المزالق في أن يتكلَّم وهو لا يعلم- نسأل الله السلامة والعافية.

◆ قول الإنسان فيما لا يعلمه "لا أعلم" دليل على حرصه وإتقانه في أنَّه لا يتكلَّم إلا بعلم.

◆ طالب العلم لابدَّ أن يكون سلفيًّا أثرِيًّا في تعلُّمه وفي تعليمه وفي فتواه، ولا يعتبر بصنيع الناس أو بواقع الناس، وبخاصة المسائل الكبار، والمسائل التي تحتاج إلى نظرٍ وتأملٍ، فينبغي للإنسان ألا يتكلَّم فيها إلا بعلمٍ، فالصَّحابة- رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- كانوا يتدافعون الفتوى، وفي الزَّمن السَّابق كان النَّاس يرون الفتوى تكليف، ولكن في الأزمنة المتأخِّرة ربَّما ظنَّ بعض النَّاس أنَّ الفتوى تشريف! وهذا من الخلل في الفهم، وثُمَّ بونٌ شاسعٌ بين منهج السَّلف- رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى- في الفقه وبين منهج بعض المتأخرين، لا نقول: الكل؛ ولكن بعض المتأخرين لهم هذا المنهج- نسأل الله السلامة والعافية.

◆ الأغلوطات هي: المسائل التي لم تقع؛ وهي من التَّكَلُّف المذموم، ولهذا فإنَّ بعض المفتيين يسأل المستفتي: هل وقعت أو لم تقع؟ فإذا كانت مسألة متكلَّفة قال: لا تسأل إلا عمَّا وقع؛ فإنَّ طلب العافية ألا تسأل إلا على ما وقع.

◆ وقيل إِنَّ الْأَغْلُوطَات هي: المسائل المُشكِلة التي لا ينبغي لا للعالم ولا للمتعلم أن يُثيرها؛ لأنَّ إثارتها بلبلة على طالب العلم، وإشكال على المعلم، فطلاب العلم يحتاجون أن يُربُّوا بصغار العلم قبل كباره، وإنَّ عليهم هذه الأغلوطات من المسائل قد يسبب لهم الانقطاع عن التَّعلُّم لأنَّها مسائل مشككة، فيكون إثارة هذه المسائل فيها قطع لهم في سبيل العلم.

الدرس الثامن

◆ من فضائل طلب العلم أنَّ طريق الجنَّة عن طريق طلب العلم سهل الوصول، ولهذا جاء في الحديث «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ»، وفي رواية: «سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ».

◆ الملائكة تحضر حلقات العلم، وذنب طالب العلم مغفور في طلبه للعلم وفي تحصيله له؛ لأنَّ الملائكة تستغفر له.

◆ من فضائل العلم: أنَّ نفعه متعدٍ، ولهذا فإنَّ الحيتان في الماء تستغفر له، ولا شك أنَّ ذلك أدعى لمغفرة ذنبه.

◆ من فضائله: أنَّ فضل العالم وطالب العلم على العابد فضل عظيم، كالقمر في الإضاءة والنفع؛ لأنَّه يُشعُّ على مَنْ حوله بالخير، ولهذا شَرَّفَ الله - عَزَّ وَجَلَّ - طلاب العلم والعلماء بأنَّهم هم ورثة الأنبياء، ونصيب طالب العلم في تحصيله لا شك أنَّه هو النَّصيب الوافر، وقد جاء في الحديث: «فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ».

◆ لا ينبغي لطالب العلم أن يُسيء الظَّنَّ في طلب العلم؛ بل عليه أن يعلم أنَّه في فضيلة عظيمة كما قال السَّلف: "اغدُ عالمًا أو متعلمًا، ولا تكن التَّالِث فتهلك".

◆ لا شك ولا ريب أنَّ أعلى الحكمة ما وُجدَ في سنَّة النَّبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لأنَّ أقواله وأفعاله مُتوافقة مع الحكمة من كلِّ وجه، ثم يتلو ذلك هَدْيُ أصحاب النَّبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فلهذا أورد المؤلف هذا الحديث من جهة أنَّ سنَّة النَّبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تُعدُّ مِنَ الْحِكْمَةِ وأنَّ المؤمن أولى بها من غيره، وهكذا ينبغي أن يكون طالب العلم.

◆ الفقيه: هو الذي يفهم مُراد الله ومُراد رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

◆ إنَّ الفقيه الذي يفهم مُراد الله ومُراد رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يكون خطابه خطاب الشَّارع؛ فالفقيه هو الذي يملك توجيه المجتمع ووعظهم وإرشادهم؛ لا بدَّ أن يكون في وعظهم وإرشادهم وتعليمهم بين الرِّجاء والخوف، وهذا هو الخطاب الشرعي المطلوب الذي وردت النُّصوص به، قال الله - عَزَّ وَجَلَّ -: ﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ (٤٩) وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩]، فلاحظ - يا رعاكَ الله - أنَّ الله - عَزَّ وَجَلَّ - جمع بين التَّخويف والرِّجاء.

◆ **إنَّ أركان العبادة ثلاثة: المحبة والخوف والرجاء، وكما ذكر ابن القيم- رَحِمَهُ اللهُ- أنَّ الخوف والرجاء كالجنحين للطائر، والمحبة هي رأس ذلك الطائر، ودينُ الله بين الخوف والرجاء، قال الله- عَزَّ وَجَلَّ- عن أصفِيائه وأوليائه:**
﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]، يعني: هم يرجون الرحمة ويخافون العذاب، ولهذا فإنَّ الطائفة التي تغلب جانب الرجاء طائفة ضالَّة وهي المرجئة، والطائفة التي تغلب جانب الخوف في خطاياها فهذه كذلك طائفة ضالَّة عن منهج أهل السُّنة وهم الخوارج.

◆ **أهل السُّنة في مقام العبودية هم أهل الوسط، ووسطيتهم إنَّما جاءت لموافقهم النصَّ الشرعي، فهم بين الخوف والرجاء، كما أنَّ الخوف مُستلزم للرجاء، والرجاء مُستلزم للخوف، فالرجاء في موضعه حسنٌ مع العمل، فلا يُمكن للإنسان أن يكون راجياً ربَّه وهو لم يعمل، والخوف في موضعه حسنٌ مع التَّقصيرِ والدَّنب، فيكون الإنسان خائفاً، ولا بدَّ من الجمع بينهما؛ لأنَّ المؤمن لا ينفك عن الدَّنب، ولا ينفك عن العمل بالطَّاعة، ولكن يكون بين الخوف والرجاء، وإن كان في حال الصِّحَّة يُغلب جانب الخوف- كما ذكر أهل العلم- ولكن لا يُغلب هذا الجانب حتى يقطعه عن العمل؛ لأنَّه إذا غلبه التَّغليب الغالي وقع في القنوط من رحمة الله، ولكن يُغلب التَّغليب الذي يحدُّه إلى السَّير في طريقه إلى الله- عَزَّ وَجَلَّ- فإنَّ النَّفس في حال الصِّحَّة والسَّلامة تحتاج لأن يكون جانب الخوف أغلب من جانب الرجاء، حتى يكون منه العمل.**

◆ **ذكر أهل العلم أنَّه يُغلب جانب الرجاء في موضع آخر وهو: حال قُرب الأجل ونزول الموت لنصوصٍ واردة عن النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- منها: قول النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ».**

◆ **من حسن الظَّنِّ بالربِّ أن يُغلب جانب الرجاء إذا كان الإنسان في حال قُرب الأجل، لما وردَ في الحديث القدسي أنَّ الله- عَزَّ وَجَلَّ- يقول: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، إِنْ ظَنَّ خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ»، فلا يظنُّ الإنسان برِّه إلا خيراً، ولهذا نُقلَ عن بعض السَّلف أنَّهم في حال الاحتضار وإحساسهم بقُرب الأجل ونزول الموت فكانوا يُستحبون أن تُقرأ عليهم أحاديث الرجاء الواردة عن النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حتى يغلب عليهم الرجاء.**

◆ **من علامات فساد الزَّمان أنَّ العلماء يُقَبِّضون، وهذا يُفيد طالب العلم في معرفة الفرق بين العالم وبين القارئ؛ لأنَّه ليس كل قارئ أو مُتكلِّم أو مُتحدِّث أو خطيب يكون عالماً؛ فالعالم نوعٌ آخر غير القُرَّاء والفُصَّحاء وأهل البيان والأدب، فقد يكثر القُرَّاء، ولكن العلماء هم الفقهاء، العالمون بمراد الله ومراد رسوله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهم أهل خشيته، وهم المتابعون لما جاء عن الله وجاء عن رسوله- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الآخذين بسنته قولاً وعملاً.**

◆ **أَوَّلُ قَبْضِ الْعِلْمِ** يكون بموت العلماء، وآخر أوان قبض العلم أَنَّهُ يُقْبَضُ بِقَبْضِ الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّهُ صَحَّ عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- وَمَوْقُوفًا عَلَيْهِ- وَمِثْلُهُ لَا يُقَالُ بِالرَّأْيِ -أَنَّهُ قَالَ: "وَلْيُنْتَزَعَنَّ الْقُرْآنُ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِكُمْ، يُسْرَى عَلَيْهِ لَيْلًا، فَيَذْهَبُ بِهِ مِنْ أَجْوَافِ الرِّجَالِ، فَلَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ"، وورد في الأحاديث كذلك: «يَقُولُونَ: أَدْرَكْنَا آبَاءَنَا عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَتَحْنُ نَقُولُهَا»

◆ **أَوَّلُ عِلْمٍ يُقْبَضُ** هو: **الْخَشْيَةُ**، ونُقل ذلك عن جَمْعٍ من أصحاب النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- مَوْقُوفًا عَلَيْهِمْ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ مِنَ الْعِلْمِ ثَمَّ شَيْءٍ ظَاهِرٍ وَثَمَّ شَيْءٌ بَاطِنٌ وَهُوَ الْخَشْيَةُ، ولهذا كان السَّلَفُ -رَحِمَهُمُ اللَّهُ- يَرُونَ أَنَّ رَأْسَ الْعِلْمِ هُوَ الْخَشْيَةُ، ولهذا لَمَّا تَكَلَّمَ فِي مَعْرُوفٍ الْكَرْخِيُّ فِي مَجْلِسِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ- إِمَامَ أَهْلِ السُّنَّةِ، قَالَ: "**رَأْسُ الْعِلْمِ الْخَشْيَةُ**".

◆ **الْعُلَمَاءُ هُمُ الْآخِذِينَ بِسُنَّةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-** قَوْلًا وَعَمَلًا، فلا بدَّ من العمل، وهؤلاء لَمَّا ذَكَرَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ذَكَرَ أَنَّهُمْ رَفَعُوا عَنْهُمْ الْعِلْمَ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَعْمَلُوا بِهِ، فَمَا فَائِدَةُ الْعِلْمِ إِذَا لَمْ يَكُنْ يُصَاحِبُهُ الْعَمَلُ؟!

◆ **الْعَمَلُ بِالْعِلْمِ** تثبيتيٌّ له، فَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ بِمَا عِلْمٌ فَهَذَا يَعْنِي أَنَّ عِلْمَهُ سَيَزُولُ مِنْ قَلْبِهِ، فلا بدَّ من الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَالْعِلْمُ سَابِقٌ عَنِ الْعَمَلِ، وكما نُقِلَ فِي بَعْضِ الْأَثَارِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ فِي بَيَانِ فَضْلِ الْعِلْمِ فِي رِسَالَتِهِ عَنْ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "**وَالْعِلْمُ يَهْتَفُ بِالْعَمَلِ فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ عَنْهُ**".

◆ **العلم يُقْبَضُ**، وَأَنَّهُ يَمُرُّ بِمَرَاهِلَ:

☑ **المرحلة الأولى: قبض العلماء.**

☑ **والمرحلة الأخيرة: خاتمة قبضه هي رفع القرآن.**

◆ **أَهْلُ التَّنَطُّعِ** هُمُ أَهْلُ الْغُلُوِّ فِي الْعِبَادَةِ وَالِدِّينِ، وَهَذَا يَصْدُقُ عَلَى طَائِفَةٍ خَرَجَتْ فِي عَهْدِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَهُمْ الْخَوَارِجُ، لِأَنَّهُمْ أَهْلُ تَنْطُعٍ وَأَهْلُ تَعَمُّقٍ، وَهَذَا التَّنَطُّعُ وَهَذَا التَّعَمُّقُ عِنْدَهُمْ وَاضِحٌ، وَقَدْ سَأَلَتْ امْرَأَةٌ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- فَقَالَتْ: "**مَا بَالُ الْحَائِضِ تَقْضِي الصَّوْمَ وَلَا تَقْضِي الصَّلَاةَ؟**" فَقَالَتْ: **أَحْرُورِيَّةٌ أَنْتِ؟**"، وَالْخَوَارِجُ يَرُونَ أَنَّ الْمَرْأَةَ إِذَا حَاضَتْ فَإِنَّهَا تَقْضِي الصَّلَاةَ كَمَا تَقْضِي الصَّوْمَ، وَهَذَا مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ الْغُلُوِّ عِنْدَهُمْ.

◆ **على طالب العلم أن يعرف ويُمَيِّزَ، والميزان الذي توزن به أقوال الناس وأفعالهم هو الوحي**، وهو ما جاء عن الله وجاء عن رسوله -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِفَهْمِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، فهذا ميزانٌ دقيقٌ نستطيع أن نُمَيِّزَ بِهِ بَيْنَ كُلِّ دَعْوَةٍ وَأُخْرَى فَنَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ عَلَى الْحَقِّ وَتِلْكَ عَلَى الْبَاطِلِ، وَلَكِنْ الْمَطْلُوبُ مِنْ طُلَّابِ الْعِلْمِ أَنْ يَسْتَظْهِرُوا مِنْ هَذَا الْخَيْرِ وَمِنْ هَذَا الْوَحْيِ حِفْظًا لِكَلَامِ اللَّهِ، وَتَدْبِيرًا لِمَعَانِيهِ، وَحِفْظًا لِسُنَّةِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَتَدْبِيرًا

لمعاني ما جاء فيها من الحكمة، ومعرفة لما كان عليه الصَّحابة، ولما كان عليه هدي النبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فيه يُمَيِّز الإنسان، ويردِّ الباطل.

◆ كيف لي أن أنوي الخير وأن أنوي نيَّةً صالحة؟

النِّيَّة تكون بأمور:

✓ **أولاً:** أن ينوي طالب العلم بطلبه للعلم أن يعبد الله تعالى على علم؛ لأنَّ العبادة بغير علمٍ طريقةٌ غير مُرضية، قال الله- عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، فالدُّعاء إلى بصيرةٍ هو الدُّعاء بعلمٍ، والدَّعوة إلى الله- عزَّ وجلَّ -بعلمٍ، وهكذا.

✓ **ثانياً:** أن طالب العلم يتعبَّد الله تعالى بطلبه للعلم، لأنَّ النَّبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -كما تقدَّم قال: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ».

✓ **ثالثاً:** أن طالب العلم يطلب العلم ليورثه خشيةُ الله- عزَّ وجلَّ -لأنَّ الخشية بحسب العلم، ولهذا يتفاوت النَّاس في خشيتهم بحسب علمهم، فَمَنْ كَانَ بِاللَّهِ أَعْرَفَ وَأَعْلَمَ كَانَ لِلَّهِ أَخْشَى، والله- عزَّ وجلَّ - ذكر هذا في مُحكم كتابه حينما قال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨] :

✓ **رابعاً:** أن طالب العلم يوي بطلب العلم أن يرفع الجهل عن نفسه؛ لأنَّ الإنسان لا ينفك عن الجهل، وقد أخرجه الله- عزَّ وجلَّ -لا يعلم شيئاً، قال- عزَّ وجلَّ: ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾ [النحل: ٧٨]، فالإنسان يحتاج لأن يتعلَّم، والله- عزَّ وجلَّ -فضَّل أهل العلم فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، وهذا فضيلة لطالب العلم.

◆ الإمام أحمد سُئِلَ عن النِّيَّة في طلب العلم فقال: "أَنْ تَنْوِيَ رَفْعَ الْجَهْلِ عَنْ نَفْسِكَ"، وقال في موضع آخر: "الْعِلْمُ لَا يَغْدِلُهُ شَيْءٌ لِمَنْ صَحَّتْ نِيَّتُهُ".

◆ ثلاث آفاتٍ قد تعرِّض لطالب العلم:

○ **الآفة الأولى:** أن يطلب العلم لمجارة العلماء على وجه التَّبَاهي به عليهم.

○ **الآفة الثانية:** ممارسة السُّفهاء، يعني مجادلة السُّفهاء من النَّاس والظُّهور عليهم بعلمه.

○ **الآفة الثالثة:** أن يريد طالب العلم صرفَ وجوه النَّاس إليه ليُقَالَ عالم، ولا شكَّ أنَّ هذه أخطار تهدِّد طالب العلم.

الدرس التاسع

◆ مقصود العلم هو الانتفاع، وليس المقصود من التَّعَلُّمِ والتَّعْلِيمِ هو المماراة والجدال، والظُّهور على الآخرين بعلوِّ العلم، ولهذا فإنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بَيَّنَّ في هذا الحديث أنَّه ما ضلَّ قومٌ بعد هدىً، وهذا يجعل الإنسان في وجل وفي خوفٍ من الضَّلَالِ، فإنَّ من أسباب الضَّلَالِ للأُممِ السَّابِقَةِ بعدَ أن منحهم الله تعالى الهدى والنُّور والبيان؛ أنَّهم تسلَّطَ عليهم الشَّيْطَانُ بأن أوقع فيهم الجدل، ولهذا فإنَّ الجدل والمراء ليسا من صفات أهل الإسلام، ولا من أهل الإيمان؛ بل هو مذموم، والنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - لمَّا تلا هذه الآية ذَكَرَ أَنَّ من صفات المشركين وهذا في زمن النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - المجادلة والمخاصمة لا لمعرفة الحق، ولكن لأجل المعارضة فقط، فهم لا يهدفون إلى التَّعَلُّمِ ولا إلى معرفة الحق، والله تعالى عالمٌ بما في النفوس وبما في النِّيَّاتِ.

◆ على طالب العلم أن يحذر من الجدل والمراء، وألا يكون ديدنه في طلبه للعلم وفي مجالسه المجادلة والمراءاة، ولهذا ينبغي أن يكون الحرص كل الحرص على التَّعَلُّمِ والانتفاع، وإذا لحظَ مَن يحصل بينه وبينهم الحوار أنَّه يُجادل؛ فعليه أن يُنبهه أنَّ مقصوده هو معرفة الحق ومعرفة الأمر على وجهه وليس المجادلة؛ لأنَّ المجادلة مذمومة كما ذكر الله - عزَّ وجلَّ - وهي داخلة في المراء.

◆ ينبغي أن يُفرَّق بين الجدل، فمنه ما هو محمود، ولكنَّه في نطاقٍ ضيقٍ، ومنه ما هو مذموم.

◆ الجدل المذموم : هو الذي يكون فيه تعالٍ على الخصم، كأن يُظهر في جداله تفوقه العلمي على الآخرين، ولهذا فإنَّ بعض طلاب العلم قد يُثير مسألة من المسائل لأجل أنَّ عنده محفوظ فيها، والله - عزَّ وجلَّ - أعلم بالنيَّات، فينبغي للإنسان أن يحذر من هذا، ومن إبطال الشَّيْطَانِ لعمله، كذلك أن يسعى في إبطال قول الخصم الذي يُجادله لمجرد تهوينه من الرأْي وإظهار أنَّه متعالٍ عليه في الفهم والمعرفة؛ فكل هذا من الجدل المذموم.

◆ الجدل المحمود فهو مُقَيَّدٌ في النَّصِّ الشَّرْعِيِّ بأن يكون بالتي هي أحسن، وهو أمر الله - عزَّ وجلَّ - لأنَّ الإنسان قد يحتاج إلى الجدل، وهو الحوار والمناقشة.

◆ قال - عزَّ وجلَّ - ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، يعني: اختر في حوارك معهم وفي مناقشتك لهم الطريقة الحُسنى، وهي أن يكون من تحاوره يعلم منك، وتُظهر له أنَّ مرادك الوصول إلى الحق.

◆ من الجدل المحمود: أن تحترم مَن تناقشه في مسألة أو تحاوره فيها، وألا تُسِفِّه رأيه، وقد جاءت أخرى ولكنها تتعلق بأهل الكتاب، لأنَّ أهل الكتاب عندهم بَقِيَّةٌ من علم، قال الله - عزَّ وجلَّ - ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦]؛

◆ الجدل وسيلة للوصول إلى الحق، ويحتاج إليه، ولهذا قال الله - عزَّ وجلَّ - في مُحْكَمِ كتابه عن نبيه نوح: ﴿وَايَا نُوْحٍ قَدْ جَاءَلْتَنَا فَاكْثُرْتَ جِدَالَنَا﴾ [هود: ٣٢]، إذن الأنبياء يحتاجون إلى الجدل، ويحتاجون إلى المناظرة

والمناقشة، وهذا وقع من أنبياء الله، وما وقع من نوح وقع من إبراهيم في حواره مع ذاك الطاغية الذي أنزل الله- عز وجل- فيه آيات تَتْلَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُخَيِّ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة ٢٥٨]، فهذا حوار وجدال، ولكن جدالاً بالتي هي أحسن، وحصل بهذا الجدال والحوار ظهور الحق على الباطل، فهذا المدعي للربوبية أحله نبي الله إبراهيم إلى سنة كونية لا يستطيع أن يغيرها، وأنَّ الشَّمْس تطلع من المشرق ثم تغرب من المغرب، فقال: إن كان لك التَّصَرُّف والتَّديب فلتُغَيِّر هذه السُّنَّة، فُهِتَ الذي كفر، وهذا من أحسن ما يكون من الجدال.

◆ **الجدل المذموم واقع من الكفار بعد ظهور دلائل الإيمان، والله- عز وجل- أخبر عن أهل الشِّرك أنهم في مجادلته مع النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إنما يُخاصمون ويُجادلون، وإلا فإنَّ الله- عز وجل- أقام البراهين والدلائل على أنَّ الله- عز وجل- هو المستحق للعبودية، وهو المستحق لأن يُعبد وحده، وعلى بطلان هذه الآلهة، وجادلهم النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بالأدلة الشرعية، وبالبراهين العقلية، وبالفطرة السليمة، وبواقعهم وحالهم- كما تقدم- في براهين الألوهية.**

◆ **الجدال وسيلة من وسائل ظهور الحق، ولهذا قد يحتاج الإنسان لجدالٍ على المخالفين لأهل السنة والجماعة، وهم من يسميهم السلف بـ "أهل الأهواء"، وهذا الجدال مُقَيَّد بأهل الأهواء بأن يكون المقصود منه ظهور الحق على الباطل، وأن يُحتَاج إليه، فقد يُحتَاج إليه في زمنٍ دون زمنٍ، وأغلب ما نُقل عن السلف- رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى - النَّبِيُّ عن جدال هؤلاء؛ لأنَّ حقائق السنة وبراهين السنة لا تحتاج إلى جدال، فالحق واضحٌ وبَيِّنٌ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَضْرِبَهُ، ولأنَّ منهج التَّلَقِّي عند أهل الأهواء يختلف عن منهج التَّلَقِّي عند أهل السنة والجماعة، فإذا ما الفائدة المرجوة ممَّن يُخالفك في أصلك الذي أنت تدينُ الله- عز وجل- به!**

◆ **أهل السنة يدينون لله بأنَّ النَّقل حاكمٌ على العقل، وأهل الأهواء يدينون بأنَّ العقل حاكمٌ على النَّقل؛ فهذا اختلافٌ في منهج التَّلَقِّي، وهذا الذي يجعل جُملة من السلف ينهون عن مجادلة أهل الأهواء، كما قال عمر بن عبد العزيز: "مَنْ جَعَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْخُصُومَاتِ أَكْثَرَ التَّنَقُّلِ".**

◆ **من الجدال المذموم ضربُ النُّصوص بعضها ببعضٍ، ولهذا فإنَّ الواجب ردُّ المتشابه من المسائل إلى المُحكَّم.**

◆ **من الجدال: التَّنَازُع في مسائل باب القضاء والقدر، فقد يُستدل بأية في القدر، ويستدل الآخر بأية أخرى، فهذا من الجدال، وقد حدث هذا في عهد النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- هذا الجدال، فخرج عليهم النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وهم يَتَنَازَعون في القدر، والتَّنَازُع مَبْدُوه الاحتكام إلى النُّصوص؛ لأنهم صحابة- رضوان الله عليهم- يَعْرِفُونَ أنَّ المرجعية في هذه الأمور إنما تكون للنصوص.**

◆ **ينبغي للإنسان أن يتأسَّى فيه بالنبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبخاصَّة أن النَّفس تُحب العلوَّ، فكون الإنسان يُضعِف أمر العلو في النَّفس فهذا شيءٌ عظيمٌ، وهذا من فضائل ومن كريم السَّجايا التي ينبغي للمسلم أن يتخلَّق**

بها: بل هي وعدٌ من الله - عزَّ وجلَّ - بالخير في الآخرة، قال تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص ٨٣]، فهذا موعود الله - عزَّ وجلَّ - لك في الآخرة، وهو العلو على المخاصم والمجادل، فتسكت طلبًا لما عند الله - عزَّ وجلَّ، ولهذا ورد في الأثر: «أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبْضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا»، فقد يتحوَّل الجدال إلى مراء، والمراء من أنواع الجدال، فإذا تحوَّل الجدال إلى مراء فإنَّ الأدب النبوي حينئذٍ الانتهاء، والانتها قد يكون فيه قطعٌ للخصام، فهذه أخلاق النبوة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب ٢١]، نسأل الله أن يوفقنا ويوفق جميع المسلمين إلى التأمُّي بالنبي - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الذي يُمَثِّلُ الخلق الكريم.

◆ أهل السُّنَّة هم خلاصة أهل الإسلام، ويمثِّلون الحقَّ لمن أراد الحقَّ، ومرجعيتهم إلى هذه النُّصوص، وأمَّا أهل الأهواء فإنَّ الجراب الذي ينزعون إليه هو جراب الشُّبهات والجدال والمناقشة، ولهذا فهم يُحِبُّون أن يُظهِرُوا هذا الجدال؛ لأنَّ أهدافهم وأدبياتهم تقوم على التَّشكيك، إمَّا التَّشكيك في أصل الإسلام، وهذا يفعله أهل النِّفاق، وإمَّا التَّشكيك في ثوابت أهل السُّنَّة والجماعة، ولهذا لا تجدهم إلا أنَّهم يَسْتَهْدِفُونَ دواوين السُّنَّة بالتَّشكيك، يَسْتَهْدِفُونَ القضايا التَّاريخية بالتَّشكيك، ينزعون إلى أحاديث مُعَيَّنة للتَّشكيك، فهذا هو الجراب الذي يُشَكِّكُونَ به.

◆ لو رجعنا إلى التَّاريخ نجد أنَّ من أسباب ضلال الجَهم بن صفوان أنَّه كان يُناظر طائفةً من الدُّهرية، ولو رجعت إلى رؤوس أهل الأهواء تجد أنَّ جملةً منهم إنَّما جاءهم الأمر من هذه الخصومات، فالإنسان يحتاج أن يستكثر من اليقين ومن الوحي، وفي الوحي غنية عن هذه الخصومات والمجادلات، ولهذا فإنَّ ثقافة الحوارات والمناقشات ثقافةً واردةً على أهل الإسلام وعلى أهل السُّنَّة، فأهل الأهواء لن ينزعوا عن أهوائهم إلاَّ مَنْ كان منهم مُريدًا للحقِّ وأراد الله هدايته، فينبغي ألاَّ يُشغَلَ النَّاسُ بمثل هذه الحوارات؛ لأنَّ هذا ليس من طريقة السَّلف - رَحِمَهُمُ اللهُ تَعَالَى - في الجدال والخصام، فالمطلوب هو البلاغ والبيان، ومن أراد الحقَّ فهذا هو الحق، وإلاَّ فإنَّ أهل الباطل لهم موانع، وأهل الكفر والطغيان لهم أسبابٌ مُتعددة في الضَّلال، ولكن الحديث أشار إلى قضية؛ وهي أنَّ الجدال يقطع عن العمل، والمطلوب هو العمل وليس الجدال، والجدال يجعلك تنافح عن القضية التي أنت تُجادل فيها فيقطعك عن العمل، فدينك فيه واجبات وفضائل، فتقطع عن هذا بالجدال والحوار، والدُّعوة بابها مفتوح، وأنت لست بحاجة إلى أن تُجادل في أي قضية كقضية النَّصارى، وإنَّما عليك البيان والإيضاح، وما لم تعلمه من الجدال فإنَّك تتركه، والحقُّ له قبولٌ وله نورٌ يقبله كلُّ مُريدٍ له، ودين الله ظاهر.

◆ الألد في خصومته غالبًا يَفْجُرُ في الخصومة ويكذب، وهذا من صفات أهل النِّفاق، وقد جاء النَّبي عن هذا، وأنَّ الفجور في الخصومة من علامات النِّفاق، قال - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرٌ»، والمخاصمة نوعٌ من أنواع الجدال، وأبغض الرِّجال إلى الله الألد في الخصام، وهذه صفة تحدُّث في بعض الأشخاص، وعليه أن يُعالج نفسه.

◆ ممَّا ينبغي أن يعرفه دُعاة الحقِّ أنَّ إبطال الباطل في كثيرٍ من الأحوال لا يحتاج إلى تسميَّات، وفي قليلٍ من الأحيان يحتاج إلى تسميَّات، والمطلوب هو إيضاح الحق وإبطال الباطل، وهذه طريقة تعلَّمنها من مشايخنا ومن

علمائنا، وهذا هو منهجُ أئمةِ الدَّعوة، ففي بعضِ المواضعِ يُسمَّى فلانٌ، وإلا ففي المواضعِ الأكثرِ تجد أنَّه يُحاول أن يبعد عن التَّسميَّات وما شاكل ذلك، فلا تنتصب إلى الدِّفاع وبيان الحقِّ إلَّا وقد تخلَّقت بهذه الآداب وعرفتْها، والتُّراث الإسلامي حافل بنماذج في الرُّدود والرَّد على المخالف، والرَّد على المخالف، وهو سِمَةُ الأدبِ والحوارِ بالتي هي الأحسن، والله- عزَّ وجلَّ- قال عن أهل الكتاب: ﴿وَلَا تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت ٤٦]، فما بالك بأهل الإسلام! فهم يحتاجون إلى الجدال بالتي هي أحسن.

◆ الله- عزَّ وجلَّ- خاطب الناس جميعاً وليس للمسلمين فقط، فقال: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة ٨٣]، وقال: ﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [الإسراء ٥٣]، وهذا خطاب لأهل الإيمان أن يكون خطابهم بالتي هي أحسن.

◆ المطلوب هو الأدب مع كلِّ النَّاسِ كائنًا مَنْ كان، وقد يُسمَّى المخالف ولكن في مواضع، بحسب ما يقوم به الشَّخص، وفي بعض الأحيان قد تكون التَّسمية ليس لها حاجة، وهذا ما يُسمُّونه بالسياسة الشَّرعية، والفقه الشَّرعي، فقد تكون التَّسمية ليس لها داعٍ؛ لأنَّ التَّسمية في بعض الأحيان ربَّما تُظهر الباطل الذي عنده، فالأصل في خطاب المسلم وغير المسلم المخالف أن تكون بالتي هي أحسن، وليس بالزَّجر، ولا بمثل هذه الأمور، فهذا هو خطاب الشَّريعة، وهذه هي آثار التُّبوة.

◆ أُمِّيَّةُ النَّبِيِّ الصَّالِحَةِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، فقد ذكر عبد الله مسعود- رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- جملةً من النِّياتِ الفاسدة، أو جملةً من آفات طلب العلم:

✓ **الآفة الأولى:** مُباهاة العلماء، أنَّه يُريد أن يُباهي بالعلم، وإنَّما ينبغي لطالب العلم أن لا يتعلَّم العلمَ على وجهِ التَّباهي والتَّفاخر.

✓ **الآفة الثانية:** مِمَاراة السُّفهاء، يعني: يتعلَّم هذا العلم لأجل المِماراة، فيُماري ويُجادل ويُخاصم، ويظهر على مَنْ خالفه، فهو تعلَّم لا لأجل أن يعمل، ولا لأجل أن يرفع الجهلَ عن نفسه، وإنَّما تعلَّم ليُماري، وهذا فيه المرء المذموم.

✓ **الآفة الثالثة:** قوله: "أَوْ لِيَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ"، يعني طلب العلوِّ ويُشار إليه بالبنان ويُقال عالم، كما جاء في الحديث: «وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ إِنَّكَ عَالِمٌ وَقَدْ قِيلَ»، وفي الحديث: «وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ فَقَدْ قِيلَ»، يعني: حظُّكَ مِنَ الدُّنْيَا قد حصلَ، ومع ذلك ما ينفعك هذا العلم.

✓ **الآفة الرابعة:** قوله: "أَوْ لِيَأْخُذَ بِهِ مِنْ الْأُمَرَاءِ"، أي: لينال القُربَ منهم، وكلُّ هذه نِيَّاتٍ فاسدة، وكم كان ذلك في الزَّمان السَّابِقِ إلى أن تقوم السَّاعة؛ قد يتعلَّم العلمَ لأجل أن يصلَ إلى منزلةٍ معيَّنةٍ عند الأمراء، أو لينال حِظَّةً عند السُّلاطين؛ فكلُّ هذا العلم الذي طلبه وبألَّ عليه- نسأل الله السَّلامة والعافية.

◆ ينبغي أن يُعلم أن العلم شرف لا يُعادلُه شرفُ مَنْ صحَّتْ منه النِّيَّةُ، وتقدَّم أنَّ النِّيَّةَ الصَّالِحَةَ في العلم أن يَنوِيَ بالعلم أن يرفعَ الجهلَ عن نفسه، وأن يتعلَّم ليعملَ، ويدعو إلى الحقِّ الذي تعلَّمه، وهذا يحتاج من طالب العلم إلى تعاهدٍ، لأنَّه ربَّما لحقَّه شيءٌ من الفساد؛ فلا بدَّ من تجديد النِّيَّةِ والمجاهدة على ذلك.

◆ خيرُ ما يُحصَلُ به النِّيَّةُ الصَّالِحَةُ هو الدُّعاء؛ فإنَّ طلب ما عند الله - عزَّ وجلَّ - أن يورثه الإخلاص لا شكَّ أنَّه من أسباب توفيق العبد للعلم النَّافع.

وصلَّى الله على نبيِّنا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

